

﴿ الجزء الثامن ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٢ — ربيع اول سنة ١٣٢٠ ﴾

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

تاريخ ابن رشد وفلسفته

﴿ وهو اعظم فلاسفة الاسلام ﴾

واشهر شراح فلسفة ارسطو في القرون المتوسطة. ومن اجل ذلك كفَّره معاصروه وعزلوه من منصب قاضي قضاة الاندلس واهانوه ومنعوا كتبه ونفوه من وطنه . وهذه اول ترجمة كاملة لهذا الفيلسوف العظيم في اللغة العربية مقرونة بشرح فلسفته وآرائه بابسط عبارة . وسنردفها بغيرها من تراجم مشاهير فلاسفة العرب الذين شغلوا في تاريخ الحضارة والعلم حيزًا عظيمًا . وحسبنا رضى القراء واستحسانهم جزاء على ما نعانيه في كتابة ترجمة كهذه الترجمة

بين الفلاسفة مسألة يسمونها مسألة « انكار العدالة في العالم او اثباتهـا » . فمنهم فريق يرى ان العالم انما هو عبارة عن بطون تدفع وارض تبلع فلا نظام ولا ناموس وانما الحياة عراك شديد بين البشر يتغلب فيه القوي و يسقط الضعيف . وليست الفضيلة والخير والصلاح شرطًا للانتصار في هذا العراك وانما القوة هي الشرط الوحيد . وبناء على ذلك كثيرًا ما تسلَّحت الرذيلة بالقوة فانتصرت اعظم انتصار وانكسرت امامها الفضيلة اقبح انكسار.

وكفى دليلاً على ذلك سقراط وار يستيذس وابن الانسان سيد البشر . أفما سقى الاثينيون سقراط سمًّا لانه جهر بحقيقة من ابسط الحقائق وهي وحدانية الخالق . اما اهانوا ار يستيذس مثال الصدق والاستقامة ونفوه من وطنه من اجل صدقه . فهل كانت الفضيلة تسقط هذا السقوط وتُداس بهذه الوقاحة لو كان في الكون عدالة ساهرة

فيردّ على ذلك انصار العدالة بقولهم وهم يبتسمون : اتحسبون ان سقراط كان مغلوباً مع الاثينيين . كلا بل انه انتصر عليهم وان كان قد شرب السمّ من ايديهم . ذلك ان الانتصار الحقيقي لا يتوقف على ظلم ساعة ولا على عذاب يوم . قال الفيلسوف بلوتين « ممَ تشكو ايها الانسان ؟ امن ظلامة ؟ ولكن ما تاثير الظلامة في النفس الخالدة » . فظلامة الاثينيين لم تضر سقراط بل عاد شرها عليهم . ذلك ان كل فرد من افراد الانسانية منذ تلك الحادثة الفظيعة الى هذه الايام لا يُذكر على مسمع منه اسم سقراط واسم الاثينيين الا ويعظّم الحكيم سقراط ويحقّر اولئك الذين سمموه . اذاً فمن الغالب ومن المغلوب من الفريقين . أليس الغالب ذلك الذي يعيش ذكره مبجلاً معظماً في نفوس بني البشر الى آخر القرون والاجيال . وهل تريدون دليلاً افضل من هذا على انه « ليس بالامكان ابدع مما كان » كما قال الامام الغزالي وعلى وجود عقل عام يدبر الكون بمبادىء ونواميس ثابتة ويجعل النصر فيه للفضيلة دائماً ولو بعد حين

اذا رمتم دليلاً آخر فاليكم ابن رشد فيلسوف الاسلام العظيم . فان معاصريه كفروه ومنعوا كتبه واهانوه ونفوه . ولكن اي شأن لهذا كله في نظر العاقل الحكيم الذي ينظر الى جواهر الامور لا الى اعراضها . الا ينسى ابن رُشد كلّ تلك الهنات الصغيرة اذا تسنى له ان يشاهد من مكانه الابدي ما يقوله البشر عنه اليوم في اللغة العربية وغيرها

واليك ترجمة هذا الفيلسوف العربي الذي يعتقد الافرنج انه الفيلسوف الحقيقي الوحيد الذي نبغ في الاسلام

***

﴿ ترجمته ﴾ هو ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد وكانت اسرته من اكبر الاسر في الاندلس (اسبانيا) وقد ولي ابوه وجده منصب قاضي القضاة فيها . وكانت ولادة صاحب الترجمة في قرطبة في سنة ٥٢٠ هجرية (١١٢٦ مسيحية) وتوفي في بلاد المغرب (مراكش) في ٩ صفر من سنة ٥٩٥ هجرية وعمره ٧٥ سنة

وقد تلقى ابن رشد في صغره علم الكلام وهو في الدين الاسلامي بمنزلة اللاهوت في

الدين المسيحي . غير ان عقله المطبوع على طالب الحقيقة وحب التوسع في العلم لم يكتفِ بذلك فاقبل برغبة شديدة ونشاط عظيم على درس الطب والرياضيات والفلسفة . وكانت مدارس قرطبة والاندلس في ذلك الزمان مصابيح علم وهدى لجميع الامم . وقد فصلنا ذلك في مقالة « الاندلس وعز الاسلام القديم » في الجزء الاول من هذه السنة

ولما شبّ ابن رشد جُعل قاضياً في قرطبة . وكانت دولة الموحدين قد اسقطت دولة المرابطين في مدة شبابه وحلت محلها وكان بن طفيل صديق بن رشد من اعظم اخصاء الدولة الغالبة فقرب صديقه من الخليفة يوسف الذي خلف الخليفة عبد المؤمن . وفي سنة ٥٤٨ هجرية عبر ابن رشد البحر بين الاندلس وبلاد المغرب (مراكش) واقام فيها مساعداً على انشاء مدارسها وانارة مصباح العلم فيها . وفي عام ٥٦٥ ﻫ جعل قاضياً لاشبيليه في الاندلس وفي عام ٥٦٧ ﻫ عاد الى قرطبة . ثم سافر الى بلاد المغرب في عام ١١٨٢ وقد استدعاه اليها الخليفة يوسف وجعله طبيبه الخاص مكان بن طفيل . ثم رقاه الى منصب قاضي القضاة في قرطبة عاصمة الاندلس . فتربع بن رشد في كرسي ابيه وجده

تكفيره

وفي عام ١١٨٤ للميلاد ولي يعقوب المنصور بالله الخلافة في الاندلس خلفاً ليوسف ابيه فبلغ صاحب الترجمة لديه اسمى منزلة في بدء حكمه . واصبح في ذلك الزمان سلطان العقول والافكار لا راي الا رايه ولا قول الا قوله . ولكنه مكتوب لكل اصحاب العقول الذين يمتازون عن البله والبلداء واصحاب الدعوى في هذا العالم ان يتكاثر حسادهم لسبب ولغير سبب . ولذلك حسد بنَ رشد جماعةٌ من الذين قصروا عن شق غباره و بلوغ منزلته فوشوا به لدى الخليفة يعقوب المنصور بانه يجحد القرآن ويعرض بالخلافة و ينشط الفلسفة وعلوم المتقدمين بدلاً من الدين الاسلامي . ولا غرابة في هذه التهمة بعد انصراف بن رشد الى الفلسفة وطلبه الحقيقة من طريق العقل في زمن كذلك الزمن وانما الغرابة ان لا تحدث يومئذ تهم كهذه التهمة . ولذلك فكل فيلسوف اهل لان يلقب بهذا اللقب يحتمل هذا العدوان من المعاصرة احتماله امراً طبيعياً لا مفر منه ولا مهرب . و بناء على ذلك يكون اولئك الكبراء العظماء الذين عُذبوا في بدء نشأة العلم في كل امة لاعتقادهم اعتقادات تناقض اعتقاد بسطائها بمثابة شهداء يحق لهم علينا اليوم كل اكرام واحترام لانهم كانوا طليعة جيش العلم الذي لم ينتصر الا بجهادهم و بدمائهم . حتى كانهم ما خُلقوا الا لتلقى على ظهورهم احمال العلم والانسانية كلها

نصبه امام الجامع للبصق عليه

اما الخليفة يعقوب المنصور فانه لما رُفعت اليه الشكوى على ابن رشد امر فاجتمع لديه اعظم فقهاء قرطبة وقضاتها . ثم طرح عليهم الخليفة قضية ابن رشد وقد حضر ابن رشد نفسه هذا الاجتماع . فقرر الفقهاء ان تعاليمه كفر محض ولعنوا من يقرأها وقضوا على صاحبها بالنفي من قرطبة . ومن الاسف العظيم ان لا يكون لدينا تفصيل هذه الجلسة التي جرت محاكمة الفيلسوف فيها . فنفي ابن رشد الى لوسنه وهي بلدة قريبة من قرطبة وقضي عليه بالتزامها وعدم الخروج منها . وهنا اختلفت الروايات . فمن قائل ان ابن رشد اقام فيها حتى رحل الخليفة يعقوب المنصور الى بلاد المغرب ومن قائل انه سار منها يروم الخلاص من الامر فقبض عليه في فاس واوقف على باب الجامع ليبصق عليه الناس في دخولهم وخروجهم . فاذا كان هذا الخبر صحيحاً فقد اهينت الفلسفة والحكمة والعقل في شخص ابن رشد اقبح اهانة . وذلك مما يجعل له حقاً جديداً في الكرامة والاحترام فوق حقه الفلسفي الكبير

ولسنا نزعم انه يجوز لكل واحد من العلماء ان يضع مذهباً جديداً ويدعو الناس اليه وان كان مناقضاً لمعتقدات الناس وهادماً لاساسها . كلا فان ذلك امر لا يخلو من مضرة من بعض الوجوه وان كان نافعاً من وجوه اخرى . ولكن كما انه لا يجوز للعالم الجالس في غرفته وراء مائدته وهو يبحث باخلاص وامعان عن الحقيقة او ما يظنه حقيقة — ان يدعو الناس الى ترك ما في ايديهم للتمسك بالامر الجديد الذي يظن انه قد وجده ويحقّر كل من لا يعتقد معتقده كذلك لا يجوز للناس ان يمنعوا العقل البشري من الانطلاق في جو الفكر لطلب الحقيقة والعلم والنور بالآلات العقلية التي منحه الله اياها دون تضييق على هذه الآلات او ايقافها في مجراها . ولا ريب ان الامر الاول ضرب من الغرور والطياشة اذ ليس في العالم احد قادراً على اثبات ان الحقيقة في يده ومعتقده . ولذلك يجب على كل واحد من البشر ان يحتمل راي غيره وان كان مخالفاً لرايه . وهذا وا اسفاه لقصور العقل البشري وضيق ذراعه عن الاحاطة بفضاء الاسرار الالهية التي امامه . ولكن اذا كان الامر الاول غروراً وطياشة فالامر الثاني ضرب من ضروب الكفر بنعم الله تعالى لانه يقتضي اطفاء نور العقل الذي خلقه الله ووضعه في الانسان لمثل ما توضع المنائر على شواطىء البحار . افتطفئون المنارة في الانسان ثم تقولون له سر واعتقد انك سائر في الطريق القويم

عوده الى مقامه

وليس يسوء الحق شيء مثل اتخاذ الهوى مركباً في امور مقدسة كهذه الامور . فانه اذا كان كل معارض ومعترض يعارض و يعترض دفاعاً عن مبادىء مقررة في نفسه وهو يقوم بهذا الدفاع ولا غرض له غير طلب الحقيقة المجردة فهذه المعارضة وهذا الاعتراض امر مقدس يجب على كل عاقل ان يحترمه . ولكن من سوء حظ البشر انهم يقدمون الهوى دائماً على الحق . وقلما تجد شهيداً من شهداء العلم الذين بذلوا في سبيله كل مرتخص وغالٍ الا وترى انه كان للحسد اليد الطولى في معارضتهم واضطهادهم . والذي يدل احسن دلالة على ان تكفير الفيلسوف بن رشد كان من هذا القبيل ان المنصور لما عاد من قرطبة الى بلاد المغرب (مراكش) وجد نفسه بعيداً عن اعداء ابن رشد الذين اثروا عليه فجعلوه يكفره و ينفيه ذكر فضل هذا الفيلسوف الكبير وعلمه وسعة صدره وحسن اخلاقه فامر من المغرب بالغاء الحكم الذي حُكم به عليه و باباحة الفلسفة والاذن للناس في الاشتغال بها . فعادت الى فيلسوف الاندلس كرامته ومنزلته ولكنه لم يتمتع بهما بعد ذلك مدة طويلة اذ ادركته المنية في بلاد المغرب فدفن فيها . و بعد ذلك نُقلت جثته الى قرطبة التي تفتخر به لانها مسقط راسه

***

﴿ موءلفاته ﴾ كان ابن رشد مولعاً بالتاليف والمطالعة ولم يكن له لذة في غيرهما : ولقد تمنى ان ينقطع عن منصبه اليهما لو ان ذلك كان في امكانه . وكان يقول في كتبه انه يشبه رجلاً اتصلت النار بمنزله فاخذ يخرج منه اهم اثاثه شيئاً فشيئاً

اما موءلفاته فهي كثيرة يضيق المقام دون تعدادها كلها . فنكتفي اذاً بذكر كتبه الجليلة التي جعلت له في عالم الفلسفة والعلم هذه الشهرة الطائرة . وهذه الكتب قسمان . قسم في الطب وقسم في الفلسفة . فشهرته في العالم مبنية اذاً على هاتين الصناعتين : الطب والفلسفة . على انه قد الف ايضاً في علم الكلام والصرف والفقه وعلم الفلك عدة موءلفات . منها في علم الفلك مختصر المجسطي وفي الفقه كتاب دروس كاملة وفي الطب الكليات وهو ستة اجزاء تتضمن دروساً كاملة في صناعة الطب ولقد بقي لهذا الكتاب اهمية كبرى مدة طويلة . على ان اهم كتبه كلها شروح اريسطو التي بلغ بها موءلفها اسمي منزلة

شرحه اريسطو

ولقد قلنا موءلفها ولم نقل مترجمها لان بن رشد لم يترجم فلسفة اريسطو ولكنه شرحها

شرحاً . ولقد اخطأُ من قال انه ترجمها لان ابن رشد لم يكن يحسن اللغة اليونانية فضلاً عن انه كان في دار الخلافة في الاندلس اطباء من النساطرة الذين كانوا قد ترجموا كتب اريسطو الى اللغة العربية . وكان كثيرون من علماء السريان والكلدان قد ترجموا هذه الكتب الى العربية قبل عصر ابن رشد بثلاثة قرون . فلا ريب ان فيلسوف الاندلس قد اعتمد في شرح اريسطو استاذه واستاذ فلاسفة العالم الى عهد باكون على هؤلاء المترجمين

وقد شرح ابن رشد فلسفة اريطسو بطرق ثلاث . الاولى الشرح الوجيز . والثانية الشرح المتوسط او الواسطة . والثالثة الشرح الكامل او المطول

اما الشرح الصغير فان ابن رشد يتناول فيه مواضيع اريسطو ويؤلف فيها من عند نفسه مقالات في غاية الاهمية . فهو في هذا الكتاب مؤلف لا شارح . واما الشرح المتوسط فانه يذكر في صدر كل فصل منه بضع كلمات من كتاب اريسطو ثم ينطلق في الشرح والتاليف فيختلط قوله بقول اريسطو حتى يصعب فصلهما . واما الشرح المطوّل فان ابن رشد يذكر فيه فقرات اريسطو فقرة فقرة ثم يشرح اجزاءها شرحاً كافياً . ومما لا ريب فيه ان ابن رشد لم يكن يضع الشرح الكبير الا بعد فراغه من الشرح الصغير . وقد قال فلاسفة الافرنج ان ابن رشد اعظم فلاسفة القرون الوسطى الذين تبعوا اريسطو وشرحوا اقواله

ومن الكتب التي نقلها عن اريسطو ما يلي « الكون والفساد . وما وراء الطبيعة . والبرهان . والنفس . والاخلاق . والسماء . والكون . وغيرها » وله ايضاً كتاب « التهافت » وهو رد على كتاب للامام الغزالي (١) عنوانه « تهافت الفلاسفة »

طبع كتبه وترجمتها

ومما يحق لابناء اللغة العربيه ان يخجلوا منه انهم اذا طلبوا كتب هذا الفيلسوف بين ما طُبع ونُشر من الكتب بلغتنا في النهضة الحديثة لم يجدوا شيئاً منها . ولما قامت شركة

---

(١) هو ابو حامد محمد بن احمد الغزالي زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي وقد اشتهر بين علماء الاسلام بالرد على الفلسفة اليونانية التي صار ابن رشد بعد ذلك زعيمها وامامها . وقد توفي في سنة ٥٠٥ للهجرة اي قبل ولادة خصمه ابن رشد بخمسة عشر عاماً . وسناتي على ترجمته باسهاب .

طبع الكتب العربية في القاهرة لاحياء المؤلفات القديمة الجليلة الشان اعرضت عن موءلفات هذا الفيلسوف كل الاعراض مع انه كان يجب جعل كتبه في مقدمة الكتب التي طبعتها . وذلك لعدة اسباب . اولها ان القراء اكثر اقبالاً عليها منهم على سواها كما ظهر بعد الاختبار . وثانياً لانها اهم الكتب العربية على الاطلاق وحسبك انها كتب الفيلسوف الحقيقي الذي نبغ في الاسلام . وثالثاً لانه كان يجب في هذا العصر الذي جاز العلم فيه كل ما قام في سبيله من العثرات وظهر مصباحه ساطعاً من وراء الظلمات ان يكون صوت بن رشد الجهوري — ذلك الصوت الذي حاول الناس خنقه ولم يفلحوا — اول صوت يطرق مسامع الابناء ليذكرهم بمجد الاجداد القديم لعلهم يذكرون عنده الاسباب التي محت ذلك المجد فيجتنبوها والامور التي نقلته منهم الى تلامذتهم الاوربيين فيقتبسوها . فانه لا اعرف من ابن رشد بتلك الاسباب وهذه الامور ولا ارشد من كتبه اليها وادل منها عليها

اما الافرنج فانهم عنوا بترجمة كتب ابن رشد اشد عناية فترجمت مؤلفاته كلها الى اللغة اللاتينية لغة العلم والعلماء في ذلك الزمان . وكذلك الاسرائيليون فانهم ترجموا كتبه الى العبرانية لانهم كانوا من حملة العلم في اسبانيا واوربا . وكان منهم اكثر تلامذة ابن رشد . ويكفي لبيان الاهمية التي كانت لهذا الفيلسوف لدى الافرنج في صدر تمدنهم ان نقول ان في مدينة البندقية وحدها اليوم اكثر من ٥٠ طبعة من موءلفاته

***

﴿ فلسفة «المتكلمين» وآراؤهم في الوجود ﴾ وقبل ايضاح فلسفة بن رشد نأتي على آراء المتكلمين الذين عارضوها اذ في هذه المقابلة تمام الفائدة فنقول

ان المتكلمين اي علماء الكلام في الدين الاسلامي قد وضعوا فلسفة خاصة بهم . وربما لم يكن من الصواب ان تُدعى تعاليمهم فلسفة لانها عبارة عن مباحث دينية محضة ولكن كل ما جرى فيه كلام عن الخالق عز وجل وعالم الغيب وما وراء الطبيعة فهو فلسفة . ومن المعلوم ان كلمة فلسفة يونانية الاصل وهي مشتقة من كلمتين فيلوس ومعناها (محبة) وسوفيا ومعناها (الحكمة) فالفلسفة معناها اذاً (محبة الحكمة) . وهل في عالم الفكر الذي هو اشرف العوالم شيء يستحق ان يُسمى حكمة غير البحث في اصل الحكمة ومصدرها الاعلى

ففلسفة المتكلمين هذه مبنية على امرين . الاول حدوث المادة في الكون اي وجودها بخلق خالق . والثاني وجود خالق مطلق التصرف في الكون ومنفصل عنه ومدبر له . وبما ان الخالق مطلق التصرف في كونه فلا تسأل اذاً عن السبب اذا حدث في الكون شيء

لان الخالق نفسه هو السبب وليس من سبب سواه . اذاً فلا يلزم عن ذلك قطعياً ان يكون بين حوادث الكون روابط وعلائق كأنْ ينتج بعضها عن بعض لان هذه الحوادث تحدث بامر الخالق وحده . وفي الامكان ان يكون العالم بصورة غير الصورة المصور بها الآن وذلك بقدرة هذا الخالق

روح جديد عصري

هذا لباب تعاليم المتكلمين ولسنا الآن في مقام البحث فيها بل اننا نبسطها لمقابلتها بتعليم ابن رشد . وانما نقول في معرض الكلام انه يلوح لنا ان كثيرين من علماء الكلام المعاصرين ومن اخواننا الكتاب المسلمين قد ادخلوا شيئاً من النظام في تلك الفوضى . فاننا نطالع بامعان لا مزيد عليه كل ما تنشره رصيفتنا مجلة المنار الغراء من الدروس التي يلقيها فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الجامع الازهر تفسيراً للقرآن فنجد في كل صفحة من صفحاتها روحاً جديداً اذا تمَّ انتشاره كان بمنزلة اصلاح عظيم في العالم الاسلامي . ومقتضى هذا الروح الجديد تقييد الكون بنواميس طبيعية وضعها الخالق له فلا يحدث شيء في العالم الا بها . غير ان الاستاذ لا يذهب في ذلك مذهب الماديين الالهيين الذين يعتقدون ان الله سبحانه وتعالى قد خلق نواميس الكون واجراها في مجراها الطبيعي وقضى بان لا تخرج عنه ابداً . كلا لانه يعتقد بان الخالق الابدي الذي وضع تلك النواميس قد ينقضها حيناً من الزمن كلما شاء وذلك من اجل المرسلين الذين يختارهم لاصلاح حال البشر وهدايتهم الى منافعهم . ومهما يكن من هذا الامر فكفى هذا الراي اهمية وجلالاً انه يجعل للكون نظاماً طبيعياً ثابتاً يجري عليه . فالبشر الذين يدرسون هذا النظام ويعملون به ينعمون ويسعدون في هذه الحياة والذين يجهلونه ويخالفونه استناداً الى ان الخالق ينقذهم وهم جالسون في بيوتهم سواء سعوا ام لم يسعوا فانهم يشقون وينحطون . ولقد كان علماء الاديان في العصور المتقدمة ينكرون هذا الراي ويكفرون صاحبه لاعتقادهم انه غير لائق بالخالق عز وجل اما اليوم فلم يبق مجال لهذا الانكار بعد الاكتشافات العلمية التي كشفت النقاب عن وجه النواميس الطبيعية التي تحكم الكائنات كلها من جماد وحيوان ونبات . ولكن ليس الفضل للبشر اليوم في التسامح وقبول هذا المبدأ الصحيح الجديد وانما الفضل لاولئك الذين خاطروا في العصور المتقدمة في كل ملة وامة بمناصبهم وحياتهم وكرامتهم ولمن يحذو حذوهم في هذا العصر لايصال عالمنا المطبوع على الجهل والقسوة والتعصب الى هذه الدرجة من

الاعتدال والتسامح ومعرفة الحقائق الازلية الابدية

***

﴿ فلسفته ورايه في المادة وخلق العالم ﴾ اما فلسفة ابن رشد فانها تناقض الفلسفة التي تقدمت . واليك خلاصة منها

المادة وخلق العالم

انّ اعظم المسائل التي شغلت حكيم قرطبة مسالة اصل الكائنات . وهو يرى في ذلك راي اريسطو . فيقول ان كل فعل يُفضي الى خلق شيء انماهو عبارة عن حركة . والحركة تقتضي شيئاً لتحركه ويتم فيه بواسطتها فعل الخلق . وهذا الشيء هو في رايه المادة الاصلية التي صُنعت الكائنات منها . ولكن ما هي هذه المادة ؟ هي شيء قابل للانفعال ولا حدّ له ولا اسم ولا وصف . بل هي ضرب من الافتراض لا بدّ منه ولا غنى عنه . وبناء عليه يكون كل جسم ابدياً بسبب مادته اي انه لا يتلاشى ابدًا لان مادته لا تتلاشى ابدًا . وكل امر يمكن انتقاله من حيز القوة الى حيز الفعل لا بدّ له من هذا الانتقال والا حدث فراغ ووقوف في الكون . وعلى ذلك تكون الحركة مستمرة في العالم ولولا هذه الحركة المستمرة لما حدثت التحوّلات المتتالية الواجبة لخلق العالم بل لما حدث شيء قط . وبناء عليه فالعامل الاول الذي هو مصدر القوة والفعل (اي الخالق سبحانه وتعالى) يكون غير مختار في فعله لان الحرية والاختيار يقتضيان كونه محدَثاً والخالق تنزه عن ان يكون حديثاً

اتصال الكون بالخالق

هذا فيما يختص بخلق العالم . وهو مذهب قريب جدًا من مذاهب الماديين كما ترى . ولكن كيف يستولي العامل الاول على الكون ويدبره

لابن رشد في ذلك تمثيل يدلّ على حقيقة مذهبه في هذه المسالة الخطيرة . فانه يشبّه حكومة الكون اي تدبيره بحكومة المدينة . فانه كما ان كل شؤون المدينة تتفرق وتتجه الى نقطة واحدة وهي نقطة الحاكم العام فيها فيكون هذا الحاكم مصدرًا لكل شؤون الحكم ولو لم تكن له يد في كل شأن من هذه الشؤون كذلك الخالق في الاكوان فانه نقطة دائرتها ومصدر القوات التي تدبرها وان لم يكن له دخل مباشرة في كل جزء من هذه القوات . فبناء على ذلك لا يكون للكون « اتصال » بالخالق مباشرة . وانما هذا الاتصال يكون للعقل الاول وحده. وهذا العقل الاول هو عبارة عن المصدر الذي تصدر

عنه القوة للكواكب · وعلى ذلك فالسماء في راي فيلسوف قرطبة كون حي بل اشرف الاحياء والكائنات · وهي مؤلفة في رايه من عدة دوائر يعتبرها اعضاء اصلية للحياة · والنجوم والكواكب تدور في هذه الدوائر · اما العقل الاول الذي منه قوتها وحياتها فهو في قلب هذه الدوائر · ولكل دائرة منها عقل اي قوة تعرف بها طريقها كما ان للانسان عقلاً يعرف به طريقه · وهذه العقول الكثيرة المرتبطة بعضها ببعض والتي تلي بعضها بعضاً محكومة بعضها ببعض انما هي عبارة عن سلسلة من مصادر القوة التي تُحدث الحركة من الطبقة الاولى في السماء الى ارضنا هذه · وهي عالمة بنفسها وبما يجري في الدوائر السفلى البعيدة عنها · وبناءً على ذلك يكون للعقل الاول الذي هو مصدر كل هذه الحركات علم بكل ما يحدث في العالم

طريق الاتصال

وان قيل ما هي علاقة الانسان بالخالق · فالجواب عن ذلك ياخذه ابن رشد ايضاً عن اريسطو من الفصل الثالث من كتابه « النفس » · وخلاصة ذلك ان في الكون عقلاً فاعلاً وعقلاً منفعلاً · فالعقل الفاعل هو عقل عام مستقل عن جسم الانسان وغير قابل للامتزاج بالمادة · واما العقل المنفعل فهو عقل خاص قابل للفناء والتلاشي مثل باقي قوى النفس (١) وانما يقع العلم والمعرفة باتحاد هذين العقلين · ذلك ان العقل المنفعل يميل دائماً للاتحاد بالعقل الفاعل كما ان القوة تقتضي مادة تنفذ فيها والمادة تقتضي شكلاً توضع به · واول نتيجة تحصل من هذا الاتحاد تُدعى العقل المكتسب · ولكن قد تتحد النفس البشرية بالعقل العام اتحاداً اشد من هذا فيكون هذا الاتحاد عبارة عن امتزاجها جد الامتزاج بالعقل القديم الازلي · ولا يتم هذا الاتحاد بالعقل الاكتسابي الذي تقدم

---

(١) ومما يجانس هذا البحث دعاء لافلاطون رواه بهاء الدين العاملي وهذا نصه « يا روحانيتي المتصلة بالروح الاعلى تضرعي الى العلة التي انتِ معلولة من جهتها لتتضرع الى العقل الفعال ليحفظ عليَّ صحتي النفسانية ما دمتُ في عالم التركيب ودار التكليف » وايضاً في موضع آخر « يا علة العلل · يا قديماً لم يزل · يا منشىء مبادىء الحركات الاول · يا من اذا شاء فعل · احفظ عليَّ صحتي النفسانية ما دمتُ في عالم الطبيعة » ومما كان يقوله فيثاغورس (في رواية العاملي ايضاً) يا واهب الحياة انقذني من درن الطبيعة الى جوارك على خط مستقيم فان المعوج لا نهاية له »

ذكره فانما وظيفة العقل الاكتسابي ايصاله الى حَرَم الخالق الازلي دون ان يدغمه به . واما ادغامه واتصاله به فذلك امر لا يتم الا بطريق « العلم » . فالعلم اذاً هو سبب « الاتصال » بين الخالق والمخلوق . ولا طريق غير هذا الطريق . ومتى اتصل الانسان بالله صار مثله عارفاً بكل شيء في الكون ولم يعد يفته شيء . ولكن كيف يتصل الانسان بالله ؟ يتصل به بان ينقطع الى الدرس والبحث والتنقيب ويخرق بنظره حجب الاسرار التي تكتنف الكون فانه متى خرق هذا الحجاب ووقف على كنه الامور وجد نفسه وجهاً لوجه امام الحقيقة الابدية

اما المتصوفة فانهم يقولون ان هذا « الاتصال » يتم بواسطة الصلاة والتامل والتجرد وليس العلم ضرورياً له

وبناء على ذلك تكون فلسفة صاحب الترجمة عبارة عن مذهب مادي قاعدته العلم . والكون في رأيه كما مرَّ بك انما صُنع بقوة مبادىء قديمة مستقلة محكومة بعضها ببعض وكلها مرتبطة ارتباطاً مبهماً بقوة عليا . ومن هذه المبادىء شيء يستولي على العالم ويضع فيه العقل فهو عقل الانسانية . وهذا الشيء الذي يسميه عقلاً ايضاً هو عقل ثابت لا يتغير اي انه لا يتقدم ولا يتأخر لا يزيد ولا ينقص . والناس يشتركون فيه ويستمدون منه بكميات متباينة . على ان من كان منهم اكثر استمداداً منه كان اقرب الى الكمال والسعادة (١)

---

(١) وبما ان روح هذه الفلسفة ماخوذ عن ارسطو وعن استاذه افلاطون فيحسن بنا ان نذكر في هذا المقام حديثاً لافلاطون مع تلامذته رواه بهاء الدين العاملي ولا نضمن صحة حرفه بل صحة روحه . قال افلاطون « ربما خلوتُ بنفسي كثيراً عند الرياضيات وتاملت احوال الموجودات المجردة عن الماديات وخلعت بدني جانباً وصرت كاني مجرد بلا بدن عارٍ عن الملابس الطبيعية فاكون داخلاً في ذاتي لا اعقل غيرها ولا انظر فيما عداها وخارجاً عن الاشياء فحينئذ ارى في نفسي من الحسن والبهاء والسناء والضياء والمحاسن الغريبة العجيبة الانيقة ما ابقى عنده متعجباً حيران باهتاً فاعلم اني جزء من اجزاء العالم الاعلى الروحاني الكريم الشريف واني ذو حياة فعالة . ثم ترقيت بذهني من ذلك العالم الى العوالم الالهية والحضرة الربوبية فصرت كاني موضوع فيها معلق بها فوق العوالم العقلية النورية فارى كاني واقف في ذلك الموقف الشريف وارى هناك من البهاء

الخلود

ولكن هل ان نفس الانسان خالدة ام لا في هذا المذهب ؟ وهل كان ابن رشد يعتقد بحياة ثانية

ربما كان لابن رشد جوابان على هذه المسالة الخطيرة التي هي الآن دعامة عظيمة من دعائم الانسانية . فاننا في اثناء مطالعاتنا لبعض كتبه قبل الاقدام على ترجمته رأينا له في عدة مواضع كلاماً يدلّ اصرح دلالة على اعتقاده بالحياة الثانية حتى بالعقاب والثواب ايضاً . فعجبنا كل العجب من تكفير الناس رجلاً يرى هذا الراي . ولكننا لما وصلنا الى مذهبه الفلسفي ورابنا متابعته لارسطو فيما يختص باعتقاده بالنفس وخلق الكون تغير وجه المسالة . ذلك ان ابن رشد كان يكتب هنالك كرجل موءمن خاضع لتقاليد آبائه واجداده فهو يكتب بقلبه لا بعقله . اما عند بحثه بالعقل عن مصدر العقل وعلة العلل فقد كان يكتب كفيلسوف يدخل بجراأة الاسد الى كهف الحقيقة المحجبة ولا يبالي . ولذلك قلنا انه ربما كان له في ذلك جوابان

اما الجواب الاول فيما يختص بالعقاب والثواب فهو قول مشهور وانما يزيد عليه ابن رشد وجوب التاويل . واما جوابه الثاني اي الجواب الفلسفي الذي طلبه بالعقل دون سواه فاليك خلاصته

قال : ان العقل الفاعل العام الذي تقدم ذكره من صفاته انه مستقل ومنفصل عن المادة وغير قابل للفناء والملاشاة . والعقل الخاص المنفعل من صفاته الفناء مع جسم الانسان . وبناء عليه يكون العقل العام الفاعل خالداً والعقل المنفعل فانياً . ولكن ما هو العقل الفاعل العام الذي هو خالد في راي ابن رشد؟ ان هذا العقل الخالد هو العقل المشترك بين الانسانية . فالانسانية اذاً هي خالدة وحدها دون سواها . وبناء على ذلك لا يكون بعد الموت حياة فردية ولا شيء مما يقوله العامة عن الحياة الثانية

والنور ما لا تقدر الالسن على وصفه ولا الاسماع على قبول نقشه . فاذ استغرقني ذلك الشان وغلبني ذلك النور والبهاء ولم اقوَ على احتماله هبطتُ من هناك الى عالم الفكرة فحينئذ حجبت الفكرة عني ذلك النور فابقى متعجباً اني كيف انحدرت من ذلك العالم وعجبت كيف رايتُ نفسي ممتلئة نوراً وهي مع البدن كهيئتها . فعندها تذكرت قول مطريوس حيث امرنا بالطلب والبحث عن جوهر النفس الشريف والارتقاء الى العالم العقلي »

فلسفته الادبية

اما الفلسفة الادبية فلم تشغل سوى حيز صغير في مذهب هذا الفيلسوف بازاء فلسفته المادية · وقد صرف همه في تلك الفلسفة الى نقض مذاهب « المتكلمين » الذين يقولون ان الخير في يد الله وانه يصنعه بالبشر حينما يشاء وكيفما يشاء وبقدر ما يشاء من غير علة ولا سبب بل لان ارادته تقتضي ذلك · فمن راي ابن رشد في ذلك ان هذا المبداء ينقض كل مبادىء العدل والحق لان ذلك يجعل حكومة العالم فوضى ربما شقي فيها الحكيم الفاضل وسعد الشرير اللئيم

اما حرية الانسان فهو يذهب فيها مذهباً معتدلاً · فانه يقول ان الانسان غير مطلق الحرية تماماً ولا مقيدها تماماً · وذلك انه اذا نُظر اليه من جهة نفسه وباطنه فهو حرٌّ مطلق لان نفسه مطلقة الحرية في جسمه ولكن اذا نُظر اليه من جهة حوادث الحياة الخارجية كان مقيداً بها لما لها من التاثير على اعماله

تلخيص احد كتبه

(الاتفاق بين الفلسفة والشريعة الاسلامية)

واتماماً للفائدة نلخص في هذه المقالة كتاباً لابن رشد عنوانه « فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال » ليقف القارىء على مذهب هذا الفيلسوف لفظاً ومعنىً خصوصاً لان هذا الكتاب متعلق بالموضوع الذي بحثنا هنا عنه · وغرض المؤلف في هذا الكتاب ثلاثة امور · الاول اثبات ان الشرع الاسلامي يجيز « اعتبار الموجودات بالعقل وطلب معرفتها به » اي النظر فيها نظراً فلسفياً · والثاني وجوب تاويل آيات القرآن التي ظاهرها يخالف البرهان والعقل · والثالث وجوب عدم ذكر هذه التاويلات في الكتب التي تُكتب لعامة الناس لان ذلك يجر العامة الى الكفر · ولا ريب انه بهذا القيد الاخير قد دلَّ على اعتداله ورزانته واضعف به حجج اعدائه اللهمَّ الا ان يكون غرضه فيه الحط من مقام الامام الغزالي الذي كان مقاوماً للفلسفة اليونانية كما تقدم · وذلك لان هذا الامام قد بسط تلك التاويلات في كتبه

وقد ابتدأ المؤلف الكتاب الذي نحن في صدده بقوله « اما بعد حمد الله بجميع محامده والصلاة والسلام على محمد عبده المطهر المصطفى ورسوله » · وبذلك اعترف اعترافاً صريحاً بالاصلين العظيمين من اصول الدين الاسلامي الذي كان يتهمه حساده بالمروق

منه والزيغ عنه. ثم انه بعد ذلك يقول (١)

وجوب النظر بالقياس العقلي والاخذ عن غير المشاركين — « ان الموجودات انما تدل على الصانع لمعرفة صنعتها. وانه كلما كانت المعرفة بصنعتها اتمّ كانت المعرفة بالصانع اتمّ » وقد جاء في القرآن « اعتبروا يا اولى الابصار. وهذا نص على وجوب استعمال القياس العقلي او العقلي والشرعي معاً » وقوله « او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء. وهذا نص بالحث على النظر في الموجودات » وقوله « وكذلك نُري ابرهيم ملكوت السماوات والارض الآية » وايضاً « افلا ينظرون الى الابل كيف خُلقت والى السماء كيف رُفعت » وايضاً « ويتفكرون في خلق السماوات والارض »

قال « واذا تقرر ان الشرع قد اوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها. وكان الاعتبار ليس شيئاً اكثر من استنباط المجهول من المعلوم واستخراجه منه — وهذا هو القياس او بالقياس — فواجب ان نجعل نظرنا في الموجودات بالقياس العقلي » « وليس لقائل ان يقول ان هذا النوع من النظر في القياس العقلي بدعة اذ لم يكن في الصدر الاول » (من الاسلام) « فان اكثر اصحاب هذه الملة مثبتون القياس العقلي الا طائفة من الحشوية قليلة وهم محجوجون بالنصوص » « وان كان لم يتقدم احد ممن قبلنا بفحص عن القياس العقلي وانواعه فيجب علينا ان نبتدىء بالفحص عنه وان يستعين في ذلك المتقدم بالمتاخر حتى تكمل المعرفة به » « وان كان غيرنا قد فحص عن ذلك فبيّنٌ انه يجب علينا ان نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك. وسواء كان ذلك الغير مشاركاً لنا او غير مشارك في الملة فان الآلة التي تصحّ بها التذكية ليس يُعتبر في صحة التذكية بها كونها آلة لمشارك لنا في الملة او غير مشارك اذا كانت فيها شروط الصحة. واعني بغير المشارك من نظر في هذه الاشياء من القدماء قبل ملة الاسلام » ولما كان القدماء قد فحصوا عن امر المقاييس العقلية اتم فحص « فقد ينبغي ان نضرب بايدينا الى كتبهم فننظر فيما قالوه من ذلك فان كان صواباً » « قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه. وما كان منه غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم »

نقول اما كلمة « عذرناهم » هنا فانها في الحقيقة كلمة فيلسوف وهي اجمل ذلك

---

(١) ان العبارات والفقرات الموضوعة بين قوسين او ضمتين هي لابن رشد والتي بلا قوسين او ضمتين هي للجامعة ويُقصد بها التحام المعنى واتصاله

القول الجميل

ثم قال « لو فرضنا صناعة الهندسة في وقتنا هذا معدومة وكذلك صناعة علم الهيئة (علم الفلك) ورام انسان واحد من تلقاء نفسه ان يدرك مقادير الاجرام السماوية واشكالها وابعاد بعضها عن بعض لما امكنه ذلك » « ولو كان اذكى الناس طبعاً الا بوحي اوشيء يشبه الوحي » « وهذا امر بين بنفسه ليس في الصنائع العلمية فقط بل وفي العملية فانه ليس منها صناعة يقدر ان ينشئها واحد بعينه . فكيف بصناعة الصنائع وهي الحكمة »

« فقد تبين من هذا ان النظر في كتب القدماء (يعني الكتب اليونانية) واجب بالشرع اذا كان مغزاهم في كتبهم ومقصدهم هو المقصد الذي حثنا الشرع عليه . وان من نهى عن النظر فيها من كان اهلاً للنظر فيها — وهو الذي جمع امرين احدهما ذكاء الفطرة والثاني العدالة الشرعية والفضيلة العلمية والخلقية — فقد صدّ الناس عن الباب الذي دعا الشرع منه الناس الى معرفة الله وهو باب النظر المؤدي الى معرفته حق المعرفة وذلك غاية الجهل والبعد عن الله تعالى »

وجوب التاويل — ثم انتقل من هذه القضية بعد اثباتها الى قضية التاويل فقال « واذا كانت هذه الشرائع (الاسلامية) حقاً وداعية الى النظر المؤدي الى معرفة الحق فانّا معشر المسلمين نعلم على القطع انه لا يؤدي النظر البرهاني الى مخالفة ما ورد به الشرع فان الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له » اي ان العلم موافق للدين كما ان الدين موافق للعلم . وبناء على ذلك قال الفيلسوف : « ونحن نقطع قطعاً ان كل ما ادى اليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع ان ذلك الظاهر يقبل التاويل على قانون التاويل العربي » « واذا اعتبر الشرع وتصفحت سائر اجزائه وجد في الفاظ الشرع ما يشهد بظاهره لذلك التاويل او يقارب ان يشهد . ولهذا المعنى اجمع المسلمون على انه ليس يجب ان تحمل الفاظ الشرع كلها على ظاهرها ولا ان تخرج كلها من ظاهرها بالتاويل » « والسبب في ورود الشرع فيه الظاهر والباطن هو اختلاف نظر الناس وتباين قرائحهم في التصديق . والسبب في ورود الظواهر المتعارضة فيه هو تنبيه الراسخين في العلم على التاويل الجامع بينهما » ولهذا المعنى ورد في القرآن « هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات (الى قوله) والراسخون في العلم »

« وكثير من الصدر الاول قد نُقل عنهم انهم كانوا يرون ان للشرع ظاهراً وباطناً وانه ليس يجب ان يعلم بالباطن من ليس من اهل العلم به ولا يقدر على فهمه مثل ما روى

البخاري عن علي رضى الله عنه انه قال حدثوا الناس بما يعرفون اتريدون ان يكذب الله ورسوله » « ونحن نعلم قطعاً انه لا يخلو عصر من الاعصار من علماء يرون ان في الشرع اشياء لا ينبغي ان يعلم بحقيقتها جميع الناس »

رده على الامام الغزالي — ولكن هل اجماع الآراء في التاويل ممكن · قال الفيلسوف كلا · اذاً « فما تقول في الفلاسفة من اهل الاسلام كابي نصر وابن سينا فان ابا حامد (الغزالي) قد قطع بتكفيرها في كتابه المعروف بالتهافت في ثلاث مسائل : (١) في القول بقدم العالم (٢) بانه تعالى لا يعلم الجزئيات تعالى عن ذلك (٣) في تاويل ما جاء في حشر الاجساد واحوال المعاد » قال الفيلسوف في ذلك « ليس تكفيره في ذلك قطعاً اذ قد صرح في كتابه (التفرقة) ان التكفير بخرق الاجماع فيه احتمال » ثم تناول ابن رشد مسالة علم الله بالجزئيات وهي المسالة الثانية فقال

علم الخالق بجزئيات الامور

وقد نرى ان ابا حامد (الغزالي) قد غلط على الحكماء المشائين (١) فيما نسب اليهم من انهم يقولون انه تقدس وتعالى لا يعلم الجزئيات اصلاً · بل يرون انه تعالى يعلمها بعلم غير مجانس لعلمنا بها · وذلك ان علمنا معلول للمعلوم به فهو محدَث بحدوثه ومتغير بتغيره · وعلم الله بالوجود على مقابل هذا فانه علة للمعلوم الذي هو الموجود فمن شبه العلمين احدهما بالآخر فقد جعل ذوات المتقابلات وخواصها واحدة وذلك غاية الجهل »

العالم قديم ام حديث

ونظر بعد ذلك في المسالة الاولى اي قدم العالم فقال ان فيها ثلاثة اقوال « طرفان وواسطة بين الطرفين · وقد اتفقوا في تسمية الطرفين واختلفوا في الواسطة · فاما الطرف

---

(١) قال بهاء الدين العاملي « كان تلامذة افلاطون ثلاث فرق وهم " الاشراقيون والرواقيون والمشاؤون " فالاشراقيون هم الذين جردوا الواح عقولهم عن النقوش الكونية فاشرقت عليهم لمعات انوار الحكمة من لوح النفس الافلاطونية وحدها من غير توسط العبارات وتخلل الاشارات · والرواقيون هم الذين كانوا يجلسون في رواق بيت افلاطون و يقتبسون الحكمة من عباراته واشاراته · والمشاؤون هم الذين كانوا يمشون في ركابه ويتلقون منه فرائد الحكمة في تلك الحالة · وكان ارسطو من هولاء وربما يقال ان المشائين هم الذين كانوا يمشون في ركاب ارسطو لا في ركاب افلاطون »

الواحد فهو موجود وجد من شيء غيره وعن شيء اعني عن سبب فاعل ومن مادة· والزمان متقدم عليه اعني على وجوده » و يدخل في ذلك النبات والحيوان والارض والهواء والماء « وقد اتفق الجميع على تسميتها محدثة » « واما الطرف المقابل لهذا فهو موجود لم يكن من شيء ولا عن شيء ولا تقدمه زمان · وهذا ايضاً اتفق الجميع من الفرقتين (القدماء والاشعريين) على تسميته قديماً وهو الله تبارك وتعالى فاعل الكل وموجده والحافظ له » بقيت الواسطة وهي « موجود لم يكن من شيء ولا تقدمه زمان ولكنه موجود عن شيء اعني عن فاعل وهذا هو العالم باسره » « والكل منهم متفق على وجود هذه الصفات الثلاث للعالم » « والمتكلمون (علماء الكلام) متفقون ايضاً مع القدماء (اليونان) على ان الزمان المستقبل غير متناهٍ وكذلك الموجود المستقبل وانما يختلفون في الزمان الماضي فالمتكلمون يرون انه متناهٍ »

واصحاب هذه المذاهب « من غلب عليه ما في الزمان من شبه القديم على ما فيه من شبه المحدث سماه قديماً ومن غلب عليه ما فيه من شبه المحدث سماه محدثاً· وهو في الحقيقة ليس محدثاً حقيقياً ولا قديماً حقيقياً فان المحدث الحقيقي فاسد ضرورة والقديم الحقيقي ليس له علة· ومنهم من سماه محدثاً ازلياً وهو افلاطون وشيعته لكون الزمان متناهياً عندهم في الماضي · فالمذاهب في العالم ليست تتباعد كل التباعد حتى يكفر بعضها ولا يكفر »

« وهذا كله مع ان هذه الآراء في العالم ليست على ظاهر الشرع فان ظاهر الشرع اذا تُصفح ظهر من الايات الواردة في الانباء عن ايجاد العالم ان صورته محدثة بالحقيقة وان نفس الوجود والزمان مستمر من الطرفين اعني غير منقطع وذلك ان قوله تعالى (وهو الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء) يقتضي بظاهره وجوداً قبل هذا الوجود وهو العرش والماء وزماناً قبل هذا الزمان اعني المقترن بصورة هذا الوجود الذي هو عدد حركة الفلك· وقوله تعالى (يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات) يقتضي ايضاً بظاهره وجوداً ثانياً بعد هذا الوجود وقوله تعالى (ثم استوى الى السماء وهي دخان) يقتضي بظاهره ان السماوات خلقت من شيء » (١)

---

(١) ومما لا يخلو ذكره هنا من فائدة وفكاهة قول لحضرة الرحالة ك في كتابه طبائع الاستبداد الذي صدر في العام الماضي عن تاويل بعض آيات القرآن تاويلاً ينطبق على اقوال العلماء في خلق الكون والاكتشافات العلمية الحديثة وهذا نصه : « قد كشفوا ان مادة الكون هي الاثير وقد وصف القرآن بدأ التكوين فقال " واستوى الى السماء وهي دخان " — وكشفوا ان الكائنات في حركة دائمة دائبة والقرآن يقول " وآية

ولكن اذا كان التاويل واجباً فهو لا يكون في الاصول « مثل الاقرار بالله تبارك وتعالى وبالنبوات وبالسعادة الاخروية والشقاء الاخروي » بل يكون في الفروع « وان كان في الاصول فالمتاول له كافر مثل من يعتقد انه لا سعادة اخروية ههنا ولا شقاء وانه انما قصد بهذا القول ان يسلم الناس بعضهم من بعض في ابدانهم وحواسهم وانها حيلة وانه لا غاية للانسان الا وجوده المحسوس فقط »

« واذا تقرر هذا فقد ظهر لك من قولنا ان ههنا ظاهراً من الشرع لا يجوز تاويله

لهم الارض الميتة احييناها » الى ان يقول « وكل في فلك يسبحون » — وحققوا ان الارض منفتقة من النظام الشمسي والقرآن يقول « ان السموات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما » — وحققوا ان القمر منشق من الارض والقرآن يقول « افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها » ويقول اقتربت الساعة وانشق القمر — وحققوا ان طبقات الارض سبعة والقرآن يقول « خلق السبع سماوات طباقاً ومن الارض مثلهن » — وحققوا انه لولا الجبال لاقتضى الثقل النوعي ان تميد الارض اي ترتج في دورتها والقرآن يقول « القى في الارض رواسي ان تميد بكم » — وكشفوا ان التغيير في التركيب الكيماوي بل والمعنوي ناشىء عن تخالف نسبة المقادير والقرآن يقول « كل شيء عنده بمقدار » — وكشفوا ان للجمادات حياة قائمة بماء التبلور والقران يقول « جعلنا من الماء كل شيء حياً » — وحققوا ان العالم العضوي ومنه الانسان ترقى من الجماد والقران يقول « خلقنا الانسان من سلالة من طين » — وكشفوا ناموس اللقاح العام في النبات والقرآن يقول « خلق الازواج كلها مما تنبت الارض » ويقول « فاخرجنا به ازواجاً من نبات شتى » ويقول « واهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج » ويقول « من كل الثمرات جعل فيها زوجين » — وكشفوا طريقة امساك الظل اي التصوير الشمسي والقرآن يقول « الم ترَ الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً » — وكشفوا تسيير السفن والمركبات بالبخار والكهرباء والقرآن يقول بعد ذكره الدواب والجواري بالريح « وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » — وكشفوا وجود المكروب وتاثيره الجدري وغيره من المرض والقرآن يقول « ارسل عليهم طيراً ابابيل » اي متتابعة مجتمعة « ترميهم بحجارة من سجيل » اي من طين المستنقعات اليابس . الى غير ذلك من الآيات الكثيرة المحققة لبعض مكتشفات علم الهيئة والنواميس الطبيعية »

فان كان تاويله في المبادئ فهو كفر . وان كان فيما بعد المبادئ فهو بدعة . وهنا ايضاً ظاهر يجب على اهل البرهان تاويله وحملهم اياه على ظاهره كفر وتاويل غير اهل البرهان له واخراجه عن ظاهره كفر في حقهم او بدعة » « وفي هذا الصنف آية الاستواء وحديث النزول ولذلك قال عليه السلام في السوداء اذا اخبرته ان الله في السماء اعتقها فانها مؤمنة اذ كانت ليست من اهل البرهان . والسبب في ذلك ان الصنف من الناس الذين لا يقع لهم التصديق الا من قِبل التخيل اعني انهم لا يصدقون بالشيء الا من جهة ما يتخيلونه يعسر وقوع التصديق لهم بموجود ليس منسوباً الى شيء متخيل »

المعاد وحملته على الغزالي

ثم انه بعد هذا التمهيد تناول المسالة الثالثة من مسائل الغزالي اي مسالة المعاد (١) فقال « يشبه ان يكون المخطئ في هذه المسالة من العلماء معذوراً والمصيب مشكوراً او ماجوراً » ثم قال ان التاويل في هذه المسالة الخطيرة يجب ان يكون « في صفة المعاد لا في وجوده » على شرط ان يكون التاويل « لا يؤدي الى نفي الوجود » لان « جحد الوجود في هذه كفر لانه في اصل من اصول الشريعة » « واما من كان من غير اهل العلم فالواجب حملها على الظاهر وتاويلها في حقه كفر لانه يؤدي الى الكفر »

وهنا حمل حملة شديدة على الامام الغزالي فقال ما نصه

---

(١) واليك ما ذكره الامام الغزالي عن « المعاد » في كتابه تهافت الفلاسفة « الاقوال الممكنة في امر المعاد لا تزيد على خمسة وقد ذهب الى كل منها جماعة "الاول" ثبوت المعاد الجسماني فقط وان المعاد ليس الا لهذا البدن وهو قول نفاة النفس الناطقة المجردة وهم اكثر اهل الاسلام "الثاني" ثبوت المعاد الروحاني فقط وهو قول الفلاسفة الالهيين اللذين ذهبوا الى ان الانسان هو النفس الناطقة فقط وان البدن آلة تستعمل وتتصرف فيه لاستكمال جوهرها "الثالث" ثبوت المعاد الروحاني والجسماني معاً وهو قول من يثبت النفس المجردة الناطقة من الاسلاميين كالامام الغزالي والحكيم الراغب وغيرهما وكثير من المتصوفة "الرابع" عدم ثبوت شيء منها وهو قول قدماء الطبيعيين الذين لا يعتد بهم ولا بمذهبهم لا في الملة ولا في الفلسفة "الخامس" في التوقف وهو المنقول عن جالينوس فقد نُقل عنه انه قال في مرضه الذي مات فيه « لا اعلم اذا كانت النفس هي المزاج فينعدم عند الموت فيستحيل عادتها او هي جوهر باق بعد فساد البدن فيمكن المعاد »

«ولذلك ماترى ان من كان من الناس فرضه الايمان بالظاهر فالتاويل في حقه كفر لانه يؤدي الى الكفر فمن افشاه له من اهل التاويل فقد دعاه الى الكفر والداعي الى الكفر كافر ولهذا يجب ان لا تثبت التاويلات الا في كتب البراهين لانها اذا كانت في كتب البراهين لم يصل اليها الا من هو من اهل البرهان واما اذا ثبتت في غير كتب البرهان واستعمل فيها الطرق الشعرية والخطابية او الجدلية كما يصنعه ابو حامد فخطأ على الشرع وعلى الحكمة وان كان الرجل انما قصد خيرًا وذلك انه رام ان يكثر اهل العلم بذلك ولكن كثر بذلك الفساد ليس بدون كثرة اهل العلم وتطرق بذلك قوم الى ثلب الحكمة وقوم الى ثلب الشريعة وقوم الى الجمع بينهما . ويشبه ان يكون هذا احد مقاصده بكتبه . والدليل على انه رام بذلك تنبيه الفطر انه لم يلزم مذهبًا من المذاهب في كتبه بل هو مع الاشاعرة اشعري ومع الصوفية صوفي ومع الفلاسفة فيلسوف وحتى انه كما قيل

يومًا يمان اذا لاقيت ذا يمن وان لقيت معدّيا فعدناني»

نقول وكأنّ الفيلسوف قد خشي ان يؤاخذ بما آخذ به الامام الغزالي لبسطه هو نفسه مبادىء الفلسفة والتاويل في كتب تقع بين ايدي العامة كما في هذا الكتاب فقال تبرءةً لنفسه « ولولا شهرة ذلك عند الناس وشهرة هذه المسائل التي ذكرناها لما استخرنا ان نكتب في ذلك حرفًا لان شان هذه المسائل ان تُذكر في كتب البرهان»

ولكن لو عاش الفيلسوف في هذا الزمن ورأى السكك الحديدية التي قربت الابعاد واختصرت المسافات . والصحافة التي هي السكك الحديدية المعنوية للافكار لسرعة نشرها اياها ومزجها بعضها ببعض من جنوبي الكرة الى شمالها ومن شرقها الى غربها لتحقق ان الطريقة التي اشار بها من ستر وجه الفلسفة عن الفئة الكبرى من البشر طريقة لم تكن الكرة الارضية قادرة على التزامها وقتًا طويلاً

رغبته في وضع كتاب مهم

ثم عاد الى مسالة التاويل التي هي دعامة هذا الكتاب فقال انه اذا وقع اشكال في ظاهر القول الديني ولم يكن ظاهرًا بنفسه للجميع وجب « ان يُصرح ويُقال انه متشابه لا يعلمه الا الله . وان الوقف يجب هنا في قوله عز وجل : وما يعلم تاويله الا الله . وبمثل هذا ياتي الجواب بالسؤال عن الامور الغامضة التي لا سبيل للجمهور الى فهمها . مثل قوله تعالى : ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلاً »

ولذلك « ليس يجب ان تثبت التاويلات الصحيحة في الكتب الجمهورية فضلاً عن

الفاسدة . والتاويل الصحيح هي الامانة التي حملها الانسان وابى ان يحملها واشفق منها جميع الموجودات . اعني المذكورة في قوله تعالى : انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال (الآية)

وهذه التاويلات في الشرع هي التي كانت سبباً في « نشأة فرق الاسلام حتى كفر بعضهم بعضاً وبدع بعضهم بعضاً وبخاصةٍ الفاسد منها » « ومن اتى بعدهم لما استعملوا التاويل قلَّ تقواهم وكثر اختلافهم وارتفعت محبتهم » « فيجب على من اراد ان يرفع هذه البدعة عن الشريعة ان يعمد الى الكتاب العزيز فيلتقط منه الاستدلالات الموجودة في شيء مما كُلفنا اعتقاده ويجتهد في نظره الى ظاهرها ما امكنه من غير ان يتاول من ذلك شيئاً الا اذا كان التاويل ظاهراً بنفسه اعني ظهوراً مشتركاً للجميع »

ويعني الفيلسوف بذلك ان يُستخرج من القرآن في كتاب خصوصي كل العقائد الواجب الاعتقاد بها من دون تاويل او بتاويل ظاهر اجلى ظهور للخاصة والعامة لتكون اساساً مشتركاً لجميع المسلمين يبنون عليه معتقدهم بلا نزاع ولا جدال فلا تؤثر فيه مجادلاتهم في التاويلات الاخرى المفهومة والغير المفهومة . قال « وبودنا لو تفرغنا لهذا المقصد وقدرنا عليه . وان انسأ الله في العمر فسنثبت فيه قدر ما يتيسر لنا منه . فعسى ان يكون ذلك مبداءً لمن ياتي بعد . فان النفس في غاية الحزن والتالم مما تخلل هذه الشريعة من الاهواء الفاسدة والاعتقادات المحرفة . وبخاصةٍ ما عرض لها من ذلك من قِبل من ينسب نفسه الى الحكمة فان الاذية من الصديق هي «اشد» من الاذية من العدو . اعني ان الحكمة هي صاحبة الشريعة والاخت الرضيعة فالاذية ممن يُنسب اليها اشدّ الاذية »

هذا ما راينا تلخيصه من هذا الكتاب للدلالة على مبادىء ابن رشد وعلى منحاه في التاليف واسلوبه في المناظرة وقد جمعنا في هذه الخلاصة كل اغراض المؤلف

***

﴿ الاضطهاد في النصرانية والاسلام ﴾ وهنا تحضرنا مقابلة لا بد منها . وهذه المقابلة هي بين الدين المسيحي والدين الاسلامي من حيث اضطهاد العلماء وتكفيرهم واهانتهم وقتلهم دفاعاً عن تقاليد الدين . وهذه المقابلة تقتضي سؤالاً وهو : ايُّ كان اكثر تسامحاً واقل تعصباً فيما يختص بالعلم والعلماء : الدين المسيحي ام الدين الاسلامي

فمنهم من يرى ان الدين المسيحي كان اكثر تسامحاً من الدين الاسلامي . لانَّ بعض علماء النصرانية وكتابها قالوا فيها اقوالاً في منتهى التطرف والغلو والتحامل ومع

ذلك لم يضرهم شيءٌ . اما ابن رشد الذي اهين كل تلك الاهانة فانه لم ينكر شيئاً من اصول الدين كما تقدم ولكنه نظر بعقله في الكائنات وشرح فلسفة لسواه فقامت قيامتهم عليه . فكيف به لو قال في المذهب الاسلامي عشر معشار ما قاله فولتير وديدرو و روسو ورنان في المذهب المسيحي

فيردّ عليهم آخرون بقولهم بل ان الدين الاسلامي كان اكثر تسامحاً من الدين المسيحي . فانكم هل رايتم في تاريخ الدين الاسلامي علماء يُحرقون وهم في قيد الحياة لانهم انكروا ما انكروه كما جرى في ديوان التفتيش في اسبانيا . كلا . وذلك لعدة اسباب . منها اولاً احترامنا العلم وانطباع حبه في نفوسنا ناخذه مع مبادئنا الدينية . وثانياً ان كل من يدخل في مذهبنا يكون اخاً لنا . ونحن نحترم هذا الاخاء فيه اشد احترام ولذلك فاننا اذا اسأنا اليه لانكاره بعض عقائدنا فاننا نجعل للاساءة حداً لا تتعداه . فنكفّره وننفيه ونمنع كتبه . ولكننا لانسفك دماءه لاننا نحترم اخاءه

فيردّ عليهم الاولون بقولهم : هل يجب ان يكون التسامح مع القريب فقط ام مع القريب والغريب معاً . ثم الا تذكرون الحروب والفتن التي قامت بين شعوب المسلمين وحكامهم بسبب الاعتقادات الدينية فاضعفت امتهم وفرقت كلمتهم . فهل يجوز ان تسموا محاربة شخص واحد واعدامه « محاربة للانسانية » ولا تسموا كذلك محاربة شعب لشعب وامة لامة .

اما نحن فلا نفصل بين هذين القولين ولكننا ننظر الى هذه المسالة من وجه آخر . وذلك اننا نرى ان السلطة المدنية في الاسلام مقرونة بالسلطة الدينية بحكم الشرع لان الحاكم العام هو حاكم وخليفة معاً . وبناءً على ذلك فان التسامح يكون في هذه الطريقة اصعب منه في الطريقة المسيحية . فان الديانة المسيحية قد فصلت بين السلطتين فصلاً بديعاً مهد للعالم سبيل الحضارة الحقيقية والتمدن الحقيقي وذلك بكلمة واحدة وهي « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » وبناء على ذلك فان السلطة المدنية في هذه الطريقة اذا تركت للسلطة الدينية مجالاً للضغط على حرية الافراد من اجل اعتقاداتهم الخصوصية فضلاً عن قتلهم وسقي الارض بدمائهم البريئة فانها تجني جناية هائلة على الانسانية . وعلى ذلك لا يكون في هذه الطريقة من التسامح اكثر مما في تلك اذا بدا منها نقص ولو كان هذا النقص اخف من نقص شقيقتها . لانه لا نقص اعظم من نقص القادر على التمام

وهنالك اعتبار آخر . وهو ان العلم والفلسفة قد تمكنا الى الآن من التغلب على الاضطهاد المسيحي ولذلك نما غرسهما في تربة اوربا واينع واثمر التمدن الحديث . ولكنهما لم يتمكنا من التغلب على الاضطهاد الاسلامي وفي ذلك دليل واقعي على ان النصرانية كانت اكثر تسامحاً مع الفلسفة

***

﴿ الفلسفة بعد ابن رشد واخلاقه ﴾ وهذا الراي يسوقنا الى الكلام عن الفلسفة عند العرب بعد ابن رشد . فنقول باختصار انه كان من المنتظر بعد ظهور ابن رشد في الاندلس ان يقوم بعده نوابغ من بني قومه يتوسعون في الدروس الفلسفية وينتفعون بالشروح التي وضعها ابن رشد على ارسطو وبذلك يكملون الحركة الاجتماعية والفلسفية ويقومون مقام فلاسفة الافرنج الذين جاءوا بعدهم فاخذوا عنهم وكملوها . وانما كان ذلك منتظراً لانه من الصعب على العقل البشري ان يصدق ان تلك البزور الفلسفية التي بزرها هذا الفيلسوف تجف ذلك الجفاف في التربة الاندلسية وتختنق هذا الاختناق

ومع ذلك فقد جفت واختنقت . جفت واختنقت لان شبهة الكفر كانت تقع بعد ابن رشد على كل مشتغل بالفلسفة . وبناء على ذلك انصرفت العقول عن صناعة الحكمة ولم يقم بعد ابن رشد فيلسوف كبير مثله ليكمل عمله

على ان تلامذة ابن رشد الذين نشروا مبادئه بعده وترجموا كتبه الى العبرانية واللاتينية كانوا اكثرهم من اليهود والنصارى . ولقد انتشر في اوربا مذهب ابن رشد في ذلك الزمان انتشاراً عظيماً حتى اضطر احد البابوات ان يحرم من الكنيسة كل من يعتقد بمذهب ابن رشد في الفلسفة

بقي ان نذكر شيئاً عن اخلاق هذا الفيلسوف . فنقول انه كان لطيفاً عفيفاً ميالاً للعزلة منقطعاً الى الدرس والمطالعة . واليك منه عبارة تدل على مبلغ شغفه بالدرس والتاليف . قال « ان الدين الخاص بالفلاسفة هو درس الوجود والكائنات (١) ذلك ان اشرف عبادة تقدم لله تعالى هي معرفة مخلوقاته ومصنوعاته لان ذلك بمثابة معرفته . هذا اشرف الاعمال التي يرضى الله عنها في حين ان اقبح الاعمال عمل من يكفر ويخطئ الذين يقدمون لله هذه العبادة التي هي خير العبادات ويتقربون منه بهذه الديانة التي هي خير الديانات»

(١) وفي الحديث نقلاً عن العاملي « لا يكمل ايمان المرء حتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف »

وكان بسيط المعيشة متقشفاً في حياته كارهاً للظلم . ولقد تولى القضاء سنوات عديدة دون ان يحكم قط بالاعدام على احد من الذين حوكموا لديه . بل انه كان حين وجوب الحكم بالاعدام يتنازل عن ذلك حينئذ لسواه فكانه يفرُّ من الدماء لكي لا تقع في عنقه

***

﴿هل مذهب ابن رشد صحيح﴾ هذا ما رأينا ذكره عن ابن رشد ولقد آن ان نختتم هذه المقالة لانها قد طالت ومع ذلك فقد رأيناها قصيرة ونحن نكتبها لان القلم لو ملأ كل صفحات هذا الجزء عن هذا الفيلسوف لما اروى غليله

ولكن قبل الختام لا بدّ ان يحضر القارئ سؤال وهو : هل مذهب هذا الفيلسوف صحيح ؟ فالجواب عن ذلك ان القارئ يخطئ اذا كان يسال عن صحة كل مذهب من مذاهب الفلاسفة او عن فساده . فان لكل واحد من الفلاسفة الذين يقفون حياتهم للبحث في ما وراء الطبيعة مذهباً خاصاً وفلسفة خاصة يناقضان مذهب الآخر وفلسفته . فمثلهم في ذلك مثل قوم يجلسون على شاطئ البحر و ياخذون في بناء بيوت من الرمل والصخر والحجارة التي على الشاطئ . ولذلك تجد في بناء كل واحد منهم رملاً وصخراً : اي ضعفاً وقوة . وذلك اما لانّ الحقيقة المحجبة قد آلت على نفسها ان تبقى محجوبة عن ارض فيها ما في ارضنا من الصغائر والدنايا او ان العقل البشري خلق محدوداً وما كان محدوداً لا يحدّ ما لا حدّ له . ولذلك نقول مع الشاعر دون ان نشاركه بما في قوله من الاحتقار للفلسفة لان العجز لا يوجب الاحتقار :

تاه الانام بسكرهم فلذاك صاحي القوم عربد
تالله لا موسى الكليم ولا المسيح ولا محمد
كلا ولا جبريل وهو الى محل القدس يصعد
علموا ولا النفس البسيطة لا ولا العقل المجرد
من كنه ذاتك غير انك اوحديّ الذات سرمد
فليخسأ الحكماء عن حرم له الاملاك سجّد
مَن انت يا رسطو ومن افلاط قبلك يا مبلد
ومن ابن سينا حين هذّب ما اتيت به وشيد
ما انتم الا الفرا ش راى السراج وقد توقد
فدنا فاحرق نفسه ولو اهتدى رشداً لأبعد

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما تهمّ مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

تاريخ الرسل بعد السيد المسيح

﴿ ملخص مما كتبه الفيلسوف رنان ﴾

وفيه تاريخ اعمال الرسل بعد السيد المسيح وتفصيل انشاء التلامذة الكنيسة الاولى في اورشليم وتفرقهم بعد ذلك في المسكونة لنشر ديانتهم الجديدة . ويتخلل ذلك وصف حالة مصر وسوريا وفلسطين في ذلك الزمان وعلاقتها بالامبراطورية الرومانية وخراب اورشليم وتشتت الاسرائيليين وسقوط الدولة الرومانية . ولا خلاف في ان تاريخ هذه الحركة انما هو تاريخ اعظم حركة اجتماعية وسياسية حدثت في العالم

عودة الرسل الى الجليل بعد صلب السيد

اول ما يقصده كل من فقد عزيزاً كريماً زيارة الاماكن التي عاش فيها معه . ولذلك اتجه التلامذة نحو الجليل بعد عيد الفصح ببضعة ايام(١) فكأنَّ الديانة المسيحية عادت في هذا الوقت مع التلامذة الى الارض التي نبتت فيها لتودعها هنيهة ثم تعود فتنتشر في الكرة الارضية

وهكذا التقى مرة ثانيـة اخص تلامذة السيد وهم بطرس وتوما ونثنائيل وابنا زبده على شاطىء بحيرة طبرية وعاشوا معاً وعادوا الى صناعة صيد السمك في بيت صيدا وكفر ناحوم كما كانوا من قبل . وقد عادت النسوة الجليليات الى الجليل معهم . بل هنَّ اللواتي حملنهم على هذه العودة لميلهن الى الوطن الاول الذي شاهدن فيه ما شاهدن من الحوادث الجميلة . وهذا آخر عمل عملنه في تاسيس الديانة المسيحية . ومنذ هذا الحين لم يعد يظهر

(١) وهناك سبب آخر وهو ما جاء في الاناجيل من ان السيد سبق التلامذة الى الجليل

لهنّ اثر في تاريخ المسيحية لانهنّ كرهن مفارقة تلك البلاد التي ذقن فيها اعظم المسرات. وهكذا وُضع ذكرهن منذ ذلك الحين في زاوية النسيان . وبما ان المسيحية في بلاد الجليل لم تقم لها بعد ذلك قائمة فقد نقصت اهمية هؤلاء النسوة اللواتي كان لهنّ الفضل العظيم في تاسيس الديانة المسيحية وفني ذكرهن في بعض التقاليد . وبناءً عليه لم تبقَ مريم المجدلية ومريم كليوفاس وحنه وسوسان — هؤلاء الجليليات اللواتي يجب ان يُعتبرن المؤسسات الحقيقيات للدين المسيحي — الا كقديسات صغيرات لا شان لهن . فان القديس بولس لا يعرفهن (١) وقد بقين هكذا حتى القرون المتوسطة . فيومئذ استرددن المنزلة التي لهن وصار لمريم المجدلية في سماء المسيحية ذلك المقام الرفيع الذي كان من حقها

وكان التلامذة يعيشون يومئذ في الجليل كاخوة وقد اجتمع حولهم نحو خمس مئة نفس من الجليليين الذين كانوا عرفوا السيد وانجذبوا الى تعليمه . فاقاموا في تلك البلاد نحو سنة وهم يعيشون اجمل عيشة لان روح السيد كانت ترفرف عليهم وتظهر لهم . فكانت حياتهم هذه عبارة عن تصورات جميلة دائمة لا تحول ولا تزول

عودتهم الى اورشليم لانشاء الكنيسة الاولى

وبعد اقامة الرسل سنة في بلاد الجليل كما تقدم راموا العودة الى اورشليم لان السيد امرهم بان ينتشروا في الارض للبشارة بالكلمة في جميع الاقطار . وكانت اورشليم اول هذه الاقطار بالطبع . فساروا اليها وهجروا وطنهم الجليل هجرة لا رجوع بعدها اليه . ولا خلاف في انه قد بقي بعد ذلك في الجليل كثيرون من اتباع الرسل ولكن لم يرد لهم ذكر فيما بعد . فغير بعيد ان يكونوا قد فنيت آثارهم في تلك البلاد كما فني فيها كل شيءٍ في الحرب التي اثارها فيها اسباسيانوس الروماني . ومن المعلوم ان الطوائف التي كانت تعيش في تلك البلاد قد لجأت بعد هذه الحرب الى ما وراء نهر الاردن . فلما سكنت رحى هذه الحرب امتنع المسيحيون من العودة اليها وعاد اليها اليهود فقط . وهكذا صارت

---

(١) قال الرسول بولس عن السيد المسيح في الاصحاح ١٥ العدد ٥ من رسالته الى كورنثوس « انه ظهر لصفا ثم للاثني عشر وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لاكثر من خمس مئة اخ » وبذلك اغفل الرسول ذكر مريم المجدلية وباقي النسوة اللواتي جاء في الانجيل انهن كن اول من شاهدنه . وهو اجحاف بحقوق النساء

الجليل في القرن الثاني والثالث والرابع عبارة عن مركز اليهودية ووطن التلمود . وبناء على ذلك لم تدخل الجليل في تاريخ الديانة المسيحية الا زمناً محدوداً . ولكن هذا الزمن كان اقدس الازمان واعظمها . ذلك لان جمال الدين المسيحي وقوته وسناءه اعني « الانجيل » لم تبرز الى الوجود الا في هذا الزمن . فالانجيل اذاً من اصل جليلي . وسيرد الكلام على ان الانجيل كان السبب الاول في نجاح الديانة المسيحية في الماضي وسيكون الضمانة الوثيقة لها في الزمن الآتي

الصعود

وبعد اجتماع التلامذة في اورشليم شهدوا صعود السيد . وقد قال لوقا الانجيلي في ذلك « وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وصعد الى السماء فسجدوا له ورجعوا الى اورشليم بفرح عظيم »

اما نحن فاننا نفارق السيد بحزن عظيم . نفارقه هنا ونودعه لنذكر تاريخ تلامذته . ولقد كان في حياته الثانية هذه جمال وسناء يعزي النفس ويجعلها تشعر بقربها من ذلك الذي كان مثالاً للجمال والسناء وان كانت هذه الحياة انما هي في الحقيقة صورة للاولى . وحزننا الآن عظيم لاننا حُرمنا ذلك العرف الطيب الذي كان ينتشر من شخصه ونفسه . لقد صعد على الغمامة الى يمين ابيه وتركنا مع جماعة من البشر لهم كل صفات البشر . فما اصعب هذا السقوط . وما اشد البعد بين امس واليوم . يا ايتها السماء لقد ذهب مُلك الجمال والسناء فاندبي هذا المُلك المفقود . انظري لقد انزوت مريم المجدلية في قريتها لتدفن فيها تذكاراتها الجميلة . لقد بطلت الخطب على الجبل و بطل شفاء المجانين ومداواة المرضى . لقد ذهب مؤسس ديانة الحق والروح . وسيكون تاريخ هذه الديانة بعده تاريخاً لابتعاد اهلها عن المبادىء الابدية الازلية التي وضعها مؤسسها فيها . ومع ذلك فان هذا التاريخ مهما طرا عليه فانه يبقى تسبيحاً عظيماً لمجد ذلك المؤسس العظيم . ذلك لان صورة هذا الابن الصالح وكلامه الحي سيبقيان في وسط صغائر الامور وهناتها بمنزلة صورة للكمال الرفيع الذي لا يبلغ طرف الانسان حده

التلامذة والعمل

وكان يومئذ عدد التلامذة واتباعهم في اورشليم نحو مئة و٢٠ شخصاً . وكانوا كثيري

التقوى وانما كانت تقواهم شبيهة بتقوى اليهود · وكانوا يصلون و يقدمون العبادة في كل يوم في هيكل اليهود نفسه · وكانوا يشتغلون بشغل صناعي ليعيشوا من ثمار شغلهم · وكان في يد كل واحد منهم صناعة خصوصية ولكن هذه الصناعة لم تكن تحول بينهم و بين فراغ الوقت والاستنارة فيه · ذلك لان الشغل القليل كان كافياً لسد حاجات كل واحد منهم كما هي الحالة في الشرق ولذلك كان يبقى لهم كثير من الفراغ في اوقاتهم خلافاً للعملة الاوربيين الذين يعملون ١٢ او ١٥ ساعة في كل يوم

وبناء عليه كان التلامذة واتباعها يشتغلون في قسم من الوقت ويجعلون قسماً منه للتامل والبحث والصلاة واثارة الهوى الروحاني في نفوسهم · وكان هذا الهوى قد بلغ فيهم يومئذ اشده · وكل من قرأ « حروب اليهود » التي كتبها يوسيفوس يجد فيها ان كل واحد من الشعب الاسرائيلي كان يومئذ يطيع كالاعمى كل ما يقوم في نفسه و يستولي عليه من العواطف والافكار · فتخاله حين الحدة مجنوناً حقيقاً

اللغات والانجيل وتعميم الصلاح

اما مسالة تعدد اللغات ومعرفة الرسل بها كلها في يوم الروح القدس فربما كان فيها فكر يحتاج الى نظر · ذلك ان الاسرائيليين كانوا يعتبرون لغتهم « لغة مقدسة » وكانوا يحفظونها اشد حفظ · واذا تُرجمت التوراة منها الى لغة غريبة لم يعبئوا بالترجمة حتى ولو تصرف بها صاحبها كما كان يقع ذلك احياناً وانما كانوا يصونون اصلها العبراني اشد صيانة · ولكن هذا الامر كان مقصوراً على يهود فلسطين وسوريا فقط · اما يهود مصر واليونانيون الذين اعتنقوا اليهودية في فلسطين فانهم كانوا يصلّون باللغة اليونانية ويطالعون التوراة بها ايضاً · ومع ذلك فانهم لم يصلوا في التسامح والتساهل الى الحد الذي وصل اليه المسيحيون يومئذ · فانه كان مشهوراً بين اليهود ان المسيح اذا جاء فانه يجمع كل لغات العالم كناية عن جمع كلمتهم والتوفيق بينهم · وهذا سبب انفصال المسيحيين الاولين عن اخوانهم اليهود في هذه المسالة وعدم اقتصارهم على اللغة العبرانيسة · بل هنالك سبب آخر · وهو معرفتهم ان الانجيل لم يُرسل الى شعب واحد بل الى جميع الشعوب والامم · ولذلك كانوا يقولون انه اذا تُرجم من اي لغة الى اي لغة اخرى كانت الترجمة طبقاً للاصل لسهولة مبادئه وقواعده · وهذه هي الخطوة الاولى التي خطاها العالم لتعميم الفضائل ومبادىء الهدوء والسلام والامن بين امه المختلفة

التحمس والتقشف وقوله في الشرقيين ·

ولقد ذكرنا فيما تقدم ان التلامذة كانوا يعيشون معاً باخاء تام · ونزيد الآن على الاخاء مسالة التجرد والتقشف والصلاة والبكاء · اما التجرد فنريد به ما يقصده المتصوفة وهو هنا تحمس النفس الى درجة تتجاوز حدود الطبيعة حتى انها قد تخال نفسها انها طرحت الجسم جانباً وتجردت منه لتطلب المصدر الاعلى الذي صدرت عنه · وفي هذه الحالة التي يبلغ فيها التحمس اشده ينطق الانسان باقوال مختلفة بعضها ذو معنى و بعضها لا معنى له في الظاهر · واما التقشف فالمراد به الصوم والاقتصار على القليل الضروري من الطعام لان الغرض قيام الجسم فقط · والغرض المقصود من التقشف مساعدة النفس على البقاء على حالة التحمس والتجرد التي تقدم ذكرها لان ذلك من خواص قلة الاكل · وقلة الاكل عادة شائعة عند اكثر الشرقيين (كذا) · واذا كانت قناعة السوري فيما يختص بالماكل سبباً من اسباب ضعفه الطبيعي (كذا) فهي ايضاً سبب في جعله في هياج وانفعال عصبي دائم · ولا ريب اننا نحن معاشر الاوربيين لا نستطيع ان نعمل اعمالنا العقلية الدائمة اذا كانت مقرونة بهذه القناعة فيما يختص بالماكل لان العمل الكثير يقتضي الغذاء الكثير · على ان هذا الضعف الظاهر في دماغ الشرقي وعضلاته من شانه ان يثير في نفسه دائماً عواطف الحزن والفرح على التتابع · وهذه العواطف تجعله متجهاً دائماً الى الله ومتصلاً به · وهذا ما كانوا يسمونه « الحزن السماوي » و يعتبرونه موهبة من السماء

البكاء صلاة

و بناء على ذلك فان المواهب السامية التي كانت للاولين انما هي عبارة عن اكرم عواطف النفس واجمل حركاتها كالمحبة والتقوى والخوف باحترام والتنهد والحزن الفجائي من غير سبب والحنو وكل ما يقوم في نفس الانسان من خير وصلاح وجمال · وكانت الدموع ايضاً موهبة ونعمة سامية · وهي في الحقيقة موهبة لانها خاصة بالنفوس الممتازة المطبوعة على الطهارة والصلاح · وكانت هذه العادة عادة البكاء كثيرة الوقوع بينهم في ذلك الزمن · وكان اصحابها وخصوصاً النساء يجدون فيها تعزية وفرجاً · بل ان هذه العادة كانت للنساء بمنزلة الصلاة للرجال اي انها كانت صلاة النساء · فيومئذ تحقق ما قيل من انهم كانوا يزرعون بكاء و يحصدون فرحاً · وعلى ذلك صار البكاء عبارة عن عمل من اعمال التقوى · واذا كان احد منهم لا يقدر على الوعظ ولا النطق باللغات المختلفة ولا صنع العجائب فانه كان

يجعل البكاء شانه · و بناء عليه فانهم كانوا يبكون في الصلاة والوعظ والتعليم · وكان السلطان يومئذ سلطان الدموع · فكأن النفوس امتزجت يومئذ امتزاجاً شديداً ولما لم تجد لغة تعبّر بها عما في نفسها من العواطف الغريبة ذابت وسالت من المحاجر فكانت دموعها لغة عامة جديدة

الاشتراكية في المسيحية

وكان التلامذة واتباعهم يسكنون حياً واحداً في اورشليم · ولم يكن احد منهم يملك شيئاً بل كانوا كلهم يبيعون ما يملكونه و يدفعون ثمنه الى صندوق الطائفة · وكان رؤساء هذه الطائفة اي التلامذه الرسل يوزعون عليها من المال المشترك كل على قدر حاجته · وكانوا يتناولون الطعام جماعة واحدة اي في مكان واحد و يعملون على المائدة الحركة الرمزية التي عملها السيد في العشاء السري · وكانوا يصرفون ساعات عديدة في الصلاة وكانوا احياناً يرتجلون الصلاة ارتجالاً بصوت جهوري واحياناً كانوا يستعدون لها · وكان الوفاق تاماً بينهم وكلهم يعيشون بقلب واحد ونفس واحدة · ولم يكن للجدال الديني ولا للتفاضل قط مجال للدخول اليهم · ذلك لان تذكار السيد كان لا يزال جديداً في نفوسهم فكانت صورته تطرد منها كل خلاف ونزاع · وهكذا صرفت الطائفة المسيحية على هذا النمط سنتين او ثلاثاً كانت معيشتها فيها عبارة عن فردوس ارضي تطلبه المسيحية منذ قرون كثيرة فلا تجده وليس لها رجوع اليه · وهذه المعيشة المشتركة لم تتجدد بعد الطائفة الاولى الا في الديور على ايدي النساك والرهبان

ومنهم من يعترض على هذا الاشتراك بقوله انه لم يحدث في زمن الطائفة الاولى بل ان كاتب « اعمال الرسل » قد بالغ فيه لانه من انصار الابيونيين اي حزب الفقر والفقراء في الدين المسيحي · ولكن هذا القول مردود بانّ الوثنيين كانوا يعتبرون الطوائف المسيحية حتى بعد نشأتها بقرنين طوائف اشتراكية كما روى لوسيانوس · واذا كان في ذلك شيء من المبالغة فمما لا ريب فيه انه كان في اورشليم في الازمنة الاولى طائفة عديدة من الفقراء المسيحيين يدبر الرسل شؤونهم وتاتيهم الاعانات من جميع الاقطار التي انتشرت فيها الديانة المسيحية · وقد اقتضت ادارة هذه الطائفة شيئاً من الصرامة ولذلك كان يقال ان كل واحد يخفي من ماله شيئاً عن الطائفة فجزاؤه عقاب الموت من الله

التلامذة في الهيكل

وكان التلامذة يجتمعون في النهار في اروقة الهيكل وخصوصاً في رواق سليمان . فكانوا يجدون هنالك تذكار الايام التي صرفها السيد معهم في ذلك المكان . وكانت اروقة الهيكل محطاً لرحال كثير من النحل واصحاب المذاهب اليهودية المختلفة . فكان التلامذة يفدون على الهيكل معهم ويقيمون بجانبهم . وكان الشعب يحبهم لبساطتهم ونقواهم ووداعتهم. ولكن اكابر رجال الهيكل كانوا يكرهونهم . وكان التلامذة يصلون يومئذ مع اليهود في الاوقات المعينة ويحفظون كل قواعد الناموس . فكان شانهم شان اليهود ولم يكونوا يختلفون عنهم الا باعتقادهم ان المسيح الذي كان اليهود ينتظرونه قد جاء الى العالم . ولم يكن الانضمام اليهم خرقاً للشريعة اليهودية في نظر اليهود بل كان المنضم اليهم يومئذ يجوز ان يحسب نفسه يهودياً . وبالجملة فان الطائفة لم تكن قد ظهرت بعد ولم يكن لها شيء من الاهمية

الديموقراطية والاريستوقراتية في الكنيسة

وكان للتلامذة الذين اختارهم السيد سلطة عظيمة على الطائفة . فلما اطمأنّ بالهم في اورشليم خطر لهم اكمال عددهم وذلك بانتخاب تلميذ مكان يهوذا الاسخريوطي الذي كان قد ترك الطائفة . وقد جعلوا الانتخاب سرياً بالقرعة . وكان المرشح له رجلين واحد يُدعى يوسف برسابا والثاني متيا . فاصابت القرعة متيا فانضم الى الاحد عشر تلميذاً . وكان هذا الانتخاب آخر انتخاب جرى للتلامذة لانهم اعتبروا ان اختيار الناس وارسالهم للبشر مزية خص بها يسوع الرسل الاولين دون سواهم . وبذلك ابعد التلامذة عن الطائفة خطراً وقعت فيه بعد ذلك وهو قيام طبقة دائمة السلطة شديدة الوطاة تحوّل مبادىء الطائفة الديموقراطية الى مبادىء ارستوقراتية

ولم يكن يومئذ قد نشأ في الطائفة ذلك الامتياز الاكليريكي الذي وُضع اساسه بعد ذلك . نعم ان الرسول بولس يسمي الرسل في بعض رسائله « اعمدة كنيسة اورشليم » ولكن هذه التسمية كانت في القول لا في الفعل . ولقد تقدم الكلام في تاريخ المسيح انّ مبداء العزوبة قد وُضع في حياة السيد ومع ذلك فقد كان بطرس وفيليبوس متزوجين وكان لهما بنون وبنات . وكان اجتماعهم يُدعى في اللغة العبرانية « كاهال » وقد ترجموها

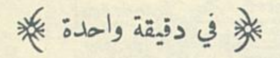
باللغة اليونانية « اكليزيا » ومعنى اكليزيا دعوة الشعب الى الاجتماع كما كان ذلك يقع في المدن اليونانية القديمة · ومن ذلك يظهر ان الكلمات الديموقراطية التي وضعتها اثينا في القرن الثاني والثالث قبل الميلاد المسيحي قد دخلت في ذلك الزمن في اللغة اليونانية وصارت مشتركة بين جميع الامم التي تتكلم هذه اللغة · ولما قامت المسيحية اخذت منها كثيراً من ذلك · وفي الحقيقة ان المسيحية انما هي عبارة عن حركة شعبية فيها السلطة للشعب كما كانت الحال في اثينا · ومن جملة ما اخذته المسيحية عن الديموقراطية اليونانية القديمة مسالة الانتخاب بالاقتراع السري وهي الطريقة التي كانت متبعة في جمهورية اثينا· ولكن المسيحية كانت اكثر تسامحاً من الهيئات الاجتماعية القديمة من حيث بذل سلطتها لرجال منها يدبرون شؤونها من غير حسد ولا سوء ظن · ذلك ان الكنيسة كانت تعتبر رؤساءها بالطبع حكاماً من قبل الله ولذلك لا عجب اذا استسلمت اليهم والقت سلطتها بين ايديهم · وبناء عليه كان سهلاً على الناقد البصير ان يرى منذ ذلك الزمن مجيء الوقت الذي تتحول فيه الديموقراطية المسيحية الى هيئة فيها السلطة محصورة بين جماعات وايدٍ قليلة

التلامذة والنسوة

وكان لبطرس بين التلامذة شيء من الامتياز والتقدم سببه غيرته ونشاطه · وكان في هذه السنوات الاولى مرافقاً على الدوام يوحنا بن زبدى فكانا يسيران معاً دائماً · وكان اتفاقهما هذا الاتفاق بمثابة اساس الايمان الجديد والطائفة الجديدة· اما يعقوب اخو السيد فقد كانت سلطته مساوية لسلطتهما وخصوصاً في احد اجزاء الكنيسة · واما بعض انصار السيد الآخرين كالنساء الجليليات وعائلة بيت عنيا فلم يرد لهم ذكر في هذا الزمن · اما هؤلاء النسوة فقد كنَّ منزويات في اماكنهن ينتظرن مع المنتظرين قدوم ملكوت الله ويذكرن الزمن الماضي · ولذلك لم يكن لهن همٌّ في التاسيس والانشاء · ولما توفاهن الله اليه نزل معهن الى اللحد اجمل شيء في تاريخ الديانة المسيحية الجديدة · ولكن لم يدرِ بهنَّ احد ولا كان لهن شيء من الاهمية بالنسبة الى التلامذة في اورشليم · ذلك لان الشهرة لاتكون الا للعاملين · اما الذين يكتفون بالجلوس في زاوية والحب فيها بسكوت وهدوء فانهم يبقون خاملين مجهولين · ولكن لا ريب في ان لهم افضل نصيب

البقية تاتي

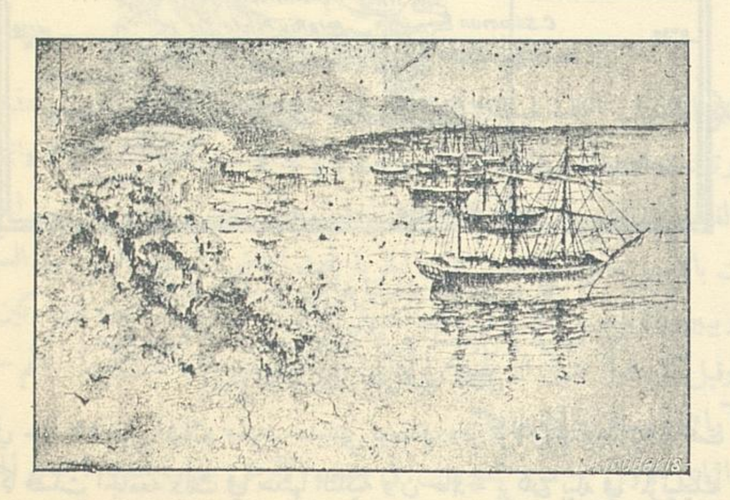
بركان يخرب مدينة ويقتل سكانها



﴿ في دقيقة واحدة ﴾

(والاقوال العلمية المتعددة في اسباب هيجان البراكين)

بين اميركا الجنوبية واميركا الشمالية جزائر متعددة يسمونها « ارخبيل الانتيل » . وهذه الجزائر منها كبيرة ومنها صغيرة . فالكبيرة هي كوبا التي يعتبرونها درة بحر الانتيل وهايتي والجامايك وبورتوريكو . والصغيرة اهمها كوادلوب والمرتينيك وبارباد وتاباكو وسان مرتين وغرناطه ودزيراد وماري غالانت وسنت فنسنت وغيرها . ولقد كانت هذه الجزائر تابعة قديماً للسلطنة الاسبانية الواسعة ثم صار اكثرها الى انكلترا وفرنسا والولايات المتحدة

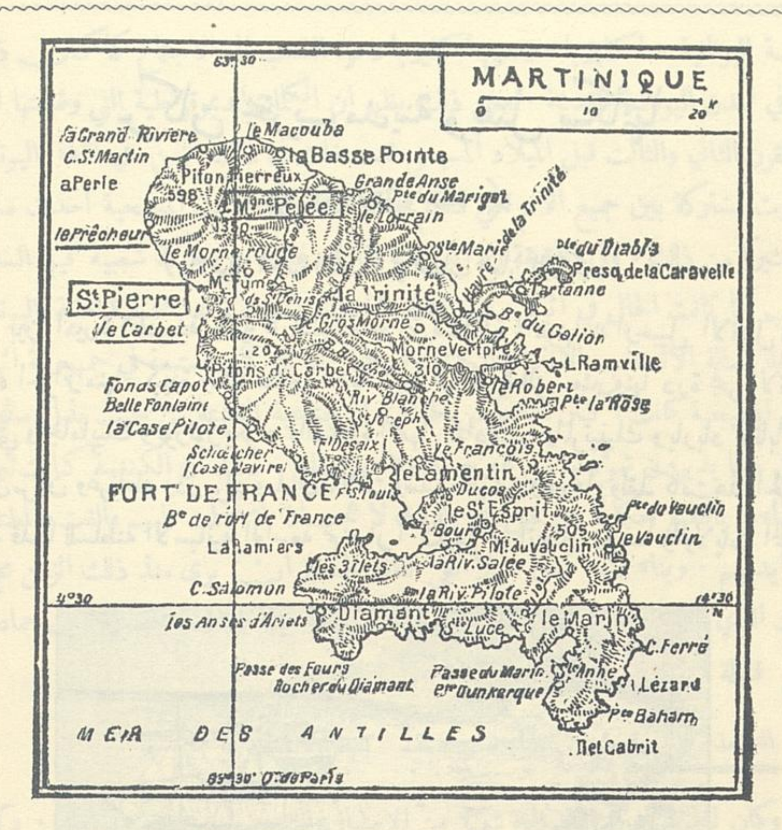


﴿ مدينة كانت بالامس . واليوم كانها لم تكن ﴾

منظر مدينة (سان بيير) بعد ان خربها البركان . والسفن التي اغرقها في مينائها

بحكم الفتح والقوة . والذي يهمنا في هذا الفصل من هذه الجزائر الكبيرة والصغيرة جزيرة المرتينيك الفرنسوية وجزيرة سنت فنسنت الانكليزية لانه حدث في الشهر الماضي فيهما ولا سيما في الاولى منهما حادث مفرد في تاريخ الانسانية

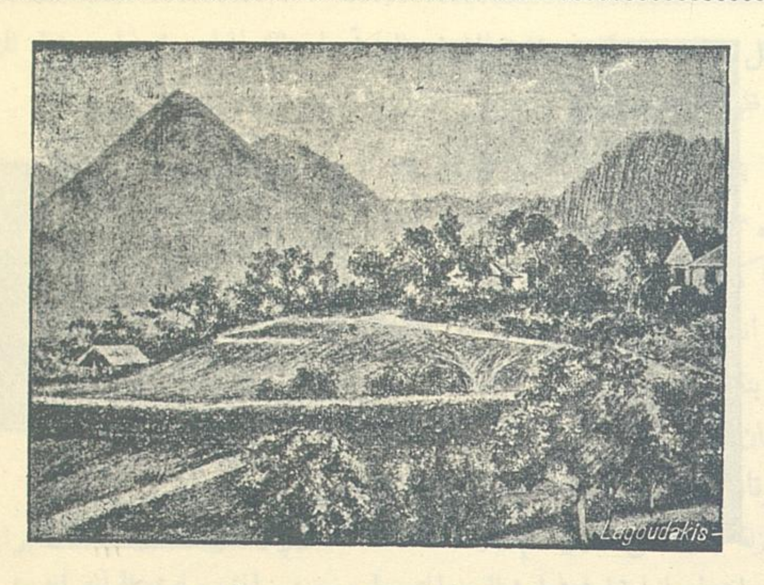
﴿ حادثة مفردة في تاريخ الانسانية ﴾ وان قيل ان البركان يزوف قد ثار في



﴿ خريطة جزيرة المرتينيك الفرنسوية ﴾

موقع مدينة (سان بيير) بجانب المربع المستطيل في غربيها
وموقع البركان في مربع في طرفها الشمالي

ايطاليا في سنة ٧٩ قبل الميلاد وخرب مدينتي بومباي وهركولانيوم وطمرهما تحت رماده وحممه كما فصلت الجامعة ذلك في سنتها الثانية وان حادثة بركان بيله في المرتينيك ليست مفردة في التاريخ فلنا ان بركان يزوف لم يقتل من سكان بومباي حين ثورانه سوى الف نفس وكان تخريبه هذه المدينة وطمره اياها بالرماد في مدة طويلة تسنى للسكان في اثنائها الفرار من الخطر . واما بركان بيله في جزيرة المرتينيك فانه قذف من فوهته على مدينة سان بيير التي هي ثانية مدنها موجة هائلة من الحجارة والوحل والغازات السامة فخرب هذه المدينة كلمح البصر وقتل نحو ٤٠ الفاً من سكانها في اقل من دقيقة واحدة . ولم يسلم من جميع السكان الا نفر قليل . ثم ثار عليها مرة اخرى بعد قتل السكان فدرس خرائبها درساً بالحجارة التي قذفها عليها



﴿ منظر بركان بيله من قريب ﴾

﴿ الاسباب العلمية لهيجان البراكين ﴾ ولا حاجة الآن الى تفصيل هذه الحادثة التي ارتعدت لها فرائص الانسانية فقد روت جرائد الاخبار هذا التفصيل . وانما اردنا في هذا الفصل ان نطبع صورة البركان الذي احدث هذا الحدث الهائل مع رسم المدينة التي كانت بالامس عامرة فاصبحت الآن اخربة تحت انقاضها اجسام الوف من السكان الاوربيين والزنوج . ونضم الى ذلك تفصيل الاقوال في اسباب هيجان البراكين

وقبل كل قول نقول ان العلماء لم يتفقوا الى اليوم على هذه الاسباب . ولهم في ذلك ستة آراء او سبعة واليك بيانها

الراي الاول — من المعلوم ان في جوف الارض حرارة شديدة تصهر المعادن والحجارة . فيقول بعض علماء الجيولوجيا ان البركان انما هو شبيه بزجاجة من الغازوزه (المياه الغازية) فاذا انفتحت في داخله ثغرة على المواد المصهورة ثارت هذه المواد بقوة هائلة تطلب سطح الارض كما تثور المياه الغازية في الزجاجة حين فتحها

الراي الثاني — واما غيرهم فيقولون ان المواد المصهورة في باطن الارض غير منتشرة في جميع الاماكن حول قشرة الارض بل هي محصورة في جهات قليلة . وقد يتفق ان تكثر عند هذه المواد الابخرة والغازات المتصاعدة عنها فتفتق سطح الارض وتندفق منه

الراي الثالث — وهنالك راي ثالث وهو ان باطن الارض مصهور اي ذائب وحوله



﴿ احد شوارع المدينة قبل خرابها بحجارة البركان ﴾

قشرة تحيط به من كل جانب وهي القشرة التي نعيش فوقها الآن · وبما ان الارض آخذة في البرود شيئاً فشيئاً فكلما برد شيء من جوفها الحامي ومس القشرة الباردة حدث ضغط على ذلك الجوف شبيه بالضغط الذي يحصل من قبض اليد على قطعة من الليمون · وحينئذ ينعصر ذلك الجوف ويخرج منه بقوة العصر ما يخرج من البراكين

الراي الرابع — واما الراي الرابع فهو قولهم ان بعض المواد المصهورة في باطن الارض اذا امتزج بعضها ببعض ثارت بتركيبها الكيماوي ثورة شديدة تفتق الارض وتخرج منها

الراي الخامس — ان المياه التي تجري تحت سطح الارض قريباً منه تدخل احياناً الى جوف الارض فتتبخر هنالك بالحرارة تبخراً شديداً يفجر قشرة الارض كما يفجر البخار المائي الآلة البخارية

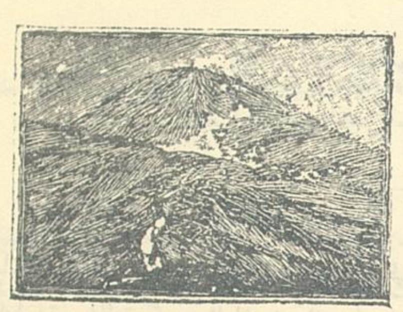
الراي السادس — ان باطن الارض مصهور ومواده الذائبة مشتركة بين جميع البراكين · فاذا حدث في الصخور على سطح الارض تغيير يقلب موازنتها حدث ضغط جديد على تلك المواد الباطنية الذائبة فتندفع وتفتق قشرة الارض

الراي السابع — واما الراي السابع فهو ان القمر والشمس يجذبان كرتنا الارضية وينجذبان منها كما هو معلوم · وبما ان باطن الارض ذائب فالمواد الذائبة تطاوع قوة جذب القمر والشمس اي تميل للانجذاب الى جهتهما · وبناء على ذلك يكثر في هذه المواد انتقالها من شكل الى

شكل وذلك مما يؤثر في قشرة الارض التي تحيط بتلك المواد ويجعلها معرضة للانفتاق اذا ظهر اقل ضعف فيها

﴿ معرفة الانفجار قبل حدوثه ﴾

هذه هي اقوال علماء الجيولوجيا في اسباب هيجان البراكين . ومما يحسن ذكره هنا ان الارض قد انذرت ابناءها قبل حدوث هذا الحادث فلم ينتبهوا . وقد قيل : من انذر فقد اعذر . وبيان ذلك ان الارض زلزلت في شماخه في القوقاس قبل ثوران بركان بيله باشهر فخربت الزلزلة كثيراً من المنازل . ثم زلزلت منذ مدة



﴿ بركان يزوف ﴾
الذي عاد الى التدخين في هذا الشهر ايضاً

في جهات اسبانيا وعلى شواطئ البحر المتوسط . ومن المشهور لدى العلماء انه متى زلزلت ارض اسبانيا تحركت براكين الانتيل لما بينهما من الصلات في جوف الارض . ولا دليل على قرب ثوران البراكين غير هذه الدلائل القياسية

اما بركان جزيرة سنت فنسنت الانكليزية فقد ثار ايضاً ثوران رفيقه في المرتينيك ولكنه لم يقتل سوى الفي نفس . وكان بركان يزوف في ايطاليا قد غار في هذا الشهر من رفيقيه فاخذ يدخن ايضاً . وهنا نختم هذا الفصل بما ذكرناه في السنة الاولى في ختام مقالة عن هذا البركان ودفنه في سنة ٧٩ للميلاد ثلاث مدن رومانيات تحت رماده وحممه . وهذا نصه :

« ولا يسعنا اختتام الكلام في هذا الشان دون التامل في تلك الارواح البشرية التي هلكت اختناقاً بين الردم وتحت الرماد والحرارة الحامية . نتأمل في ذلك فتظهر لنا الطبيعة في اشد مظاهرها رهبة ومهابة وتبدو نواميسها قاسية شديدة لا ترحم ضعيفاً ولا تخاف قوياً . ويتمثل لنا هذا العالم وحشاً هائلاً ذا ملايين من الرؤوس والايدي يسير في فضاء الكون الى غرض معلوم لديه لا يهمه ضحك الضاحكين و بكاء الباكين . بل كل ذلك لديه هباء منثور ذاهب في الهواء . فما اقسى هذه النواميس احياناً . وما اعدلها احياناً »

الدين والعلم

﴿ ورأي الفيلسوف سبنسر فيهما ﴾

لحضرة الكاتب الفاضل اسعد افندي باسيلي الطرابلسي

١

تمهيد للمجلة — قبل القاء زمام هذا الموضوع في هذه المقالة الى حضرة صديقنا الباحث الفاضل اسعد افندي باسيلي الذي مرت عليه بضع سنوات في درس الادب والفلسفة ومطالعة كتب العلماء فيهما نود ان نضع تمهيداً وجيزاً لمقالته الاولى في هذا الموضوع ايضاحاً للغرض المقصود منها فنقول — ان رنان في كلامه عن « العدو الحقيقي للعلم والدين » قال كما ورد في العدد السابق (الصفحة ٤٦٢) ما نصه : « نحن على اتفاق تام في هذه المسائل مع رجال الدين. وانما الخلاف الذي بيننا علمي لا ديني . فقلوبنا اذاً معهم . وعدونا عدوهم . ونعني بهذا العدو المبادىء المادية الواطئة التي لاترى في الكون شيئاً غير المادة ودناءة بعض البشر (يعني بعض رجال الاكليروس) الذين يرومون استخدام كل امر حتى الامور المقدسة في سبيل مصالحهم الخصوصية » . فيؤخذ من هذا القول انه لا عدو للدين والعلم الد من هذين العدوين . وهما : اولاً الذين لا يعتقدون بشيء خارجاً عن دائرة المحسوسات وينكرون الافكار الدينية ويتحاملون على الاديان ويجحدون مبادئها الاساسية التي مدنت الامم ورقت الشعوب . وثانياً بعض رؤساء الاديان الذين يوءذون الاديان بشراهتهم أو بجهلهم او بسوء قصدهم او بانفاذ اغراضهم اكثر مما يؤذيها اولئك الماديون الجاحدون

فهنا اذاً على محبي الخير للشعوب واجبان عظيمان . الاول مقاومة هوءلاء الرؤساء الذين لا يقصدون بالرئاسة الا قضاء اغراضهم الدنيوية والهاء الخاصة والعامة بالظواهر الدينية عن المبادىء الدينية الحقيقية . والثاني مقاومة اولئك الماديين الذين يرومون انزال الانسان في منزلة البهائم من حيث انكار كل شيء فيه خرج عن دائرة المادة الدنيئة. ولقد كان غرضنا من نشر كتاب تاريخ السيد المسيح القيام بالواجب الاول . وها نحن ننشر المقالات المتسلسلة التالية قياماً بالواجب الثاني . فهذه المقالات اذاً انما هي موجهة الى الجاحدين لا الى المصدقين . ونحن نشير عليهم بان يطالعوها بامعان ليتحققوا صدق

ما قاله رنان ونشرناه في الجزء الثاني من الجامعة الصفحة ٨٢ وهذا نصه : « ان ابسط الناس المؤمنين في قلوبهم اكثر معرفة بحقيقة الاشياء من اولئك الماديين الذين يفسرون كل شيء في الحياة بالصدفة وفناء المادة »

ونحن نشكر حضرة صديقنا الكاتب لاتحافه الجامعة بهذا البحث الذي ليس اقدر منه عليه — والآن نلقي زمام الكلام اليه »

بين رجال الدين وبعض رجال العلم تناظر قديم العهد يبدأ تاريخه من يوم اكتشف العقل البشري ابسط النواميس الطبيعية فوضع بذلك حدًا لعبادة الاشياء المحسوسة . والذي يسوء كل معتدل من هذا العداء ما نراه من تطرف كل من الفئتين الاولى في الاثبات والثانية في الانكار . فمن جهة ترى رجال الدين يبالغون في اثبات اشيائهم وينزلون جميع عقائدهم وآرائهم — حتى ما كان منها يعارض العقل — منزلة الحقائق اليقينية الراهنة . فيقابلهم رجال العلم بالانكار المطلق وقد يتمادون في انكارهم فيجحدون ان هنالك حقيقة قام عليها بنيان الاديان

وعندنا ان العلم مصيب اذ يعمل على دحض ما غشي الدين من الاباطيل والاوهام لانه اذا لم يكن من شان النور ان يضع حدًا للظلمة فما يكون شانه يا ترى ؟ الا انه يخطىء كل الخطأ عند ما ينظر الى العقائد الدينية بعين الازدراء والاحتقار ويحسبها عارية عن كل اساس

قال الفيلسوف هربرت سبنسر في كتابه المبادىء الاولى ان القول بان جميع الافكار الدينية عارية عن الاساس يحط كثيرًا من قدر العقل البشري الذي انما عنه ورثت الانسانية ما لديها من الحقائق

ومن ذا يا ترى يرى رجلاً من نوابغ بني الانسان كافلاطون واريسطو وسان توما وديكارت ونيوتن وكوزين وغيرهم يشغلون قسمًا كبيرًا من مؤلفاتهم في البحث في ما وراء الطبيعة واثبات الاصول الدينية العامة ثم يجرأ بعد ذلك على القول انهم انما كانوا في ما كتبوه من هذا القبيل يحيكون اوهامًا باوهام ويشيدون على غير اساس . او لا يبعث هذا على الريبة بجميع احكام العقل ومدركاته

ولسنا نكتفي بهذا القول وحده لاثبات الحقيقة الدينية العامة بل نحن موردون

على ذلك ادلة اخرى معتمدين فيها على ما كتبه الفيلسوف هربرت سبنسر اشهر فلاسفة الانكليز في هذا الزمان

﴿ وجود الافكار الدينية عند جميع الامم ﴾ اذا امعنت النظر في تواريخ الامم الغابرة ثم عدت بنظرك الى عمران الشعوب الحاضرة ترى انه ما من أمة من الامم قديمة او حديثة خلت عن بعض العقائد الدينية ولئن اختلفت تلك العقائد من حيث نوعها ودرجتها في سلم الارتقاء . فهل يسلم عاقل بوقوع مثل هذا بالمصادفة والاتفاق ؟ او ليس من شانه ان يحملنا على ترجيح صحة ما قاله رنان من ان الانسان حيوان ديّن اعني انه ذو نزوع فطري الى الدين

الا انهم يعترضون بوجود بعض قبائل همجية لا نجد عندها ادنى فكرة ابتدائية عن علة الكائنات والخليقة والخلق . وان هذه الافكار لم يبدُ لها اثر للوجود الا بعد اذ بلغ الانسان درجةً ما من الترقي العقلي . فنجيب ولو صح هذا فلا يفيد شيئاً من النتيجة التي نرمي اليها لانه متى نسلم ان جميع القبائل التي ارتقت مداركها العقلية بعض الارتقاء وجدت عندها افكار دينية لزم عن هذا ان هذه الافكار تنشاء بالضرورة عن ترقي العقل

وما نراه من التنوع بين العقائد يساعد على تأييد هذه النتيجة اذ انه يدل على ان عقائد كل امة نشات مستقلة عن عقائد الاخرى وان وجود الامم الكثيرة في ظروف واحوال متماثلة مع اختلاف الازمنة والامكنة ادى الى ايجاد افكار متماثلة ونتائج متشابهة

وزعم آخرون ان جميع ما يذكره لنا تاريخ الاديان من العقائد هو مخترعات عرضية وضعها الكهان والزعماء بقصد مخادعة العامة والتمويه عليهم . وهذا زعم لا يستطاع اثباته اذ لا يتفق ان يقوم عند جميع الامم القديمة والحديثة المتمدنة وغير المتمدنة افراد من الهيئة يتواطئون على مخادعة الآخرين وتكون الوسائل التي ينالون بها اربهم متماثلة احوالها كل هذا التماثل

وان قيل ان الاختراع الاولي للدين وقع قبل ان تفرقت طوائف الجنس البشري في انحاء الارض وان الجراثيم الدينية انتقلت مع كل قبيلة عند جلائها عن الوطن الاول قلنا ان علماء اشتقاق اللغات يفندون هذه المزاعم لانهم يثبتون بالادلة ان تفرق الجنس البشري حصل في زمن لم تكن اللغة ارتقت فيه الى درجة يستطاع عندها التعبير عن الافكار الدينية

ومع هذا فلو امكن وجود ادلة تثبت كون الاديان مخترعات عرضيـة فلا يمكن بهذا الافتراض التعليل عن كل حادث في الدين لانه اذا كانت الاديان مخترعات جماعات متفرقة من الكهان فلماذا نرى تحت الفروع الدينية المتنوعة اصولاً ومبادىء متماثلة . واذا كانت جميعها اباطيل واوهاماً فلماذا نرى النقد العلمي الذي استطاع اسقاط العقائد الخصوصية لم يتمكن من ضعضعة الفكرة الاساسية التي قامت عليها تلك العقائد . ولماذا نرى العقائد الدينية بعد اذ تسقط سقوطاً عظيماً عند امة كما حدث في اواخر القرن الثامن عشر في فرنسا لا تلبث ان تنهض ثانية ان لم يكن بمظهرها الذي كان لها من قبل فجوهرها القديم يبقى هو نفسه

﴿ الشعور الديني ﴾ ثم ان هنالك من يزعم ان الافكار الدينية هي من نتائج الشعور الديني فهو الذي يجعل العقل يحيك صوراً وهميـة لا يلبث ان يتخذها شيئاً فشيئاً حقائق راهنة . وهؤلاء يسلمون ضمناً بوجود الشعور الديني اذ لا يرون سبيلاً لانكار شعور يحس به السواد الاعظم من بني الانسان وقد كان له اعظم اثر على التمدن في الاعصر التاريخية . وما برح لعهدنا هذا اساس كثير من النظامات الاجتماعية والباعث على كثير من الاعمال العظيمة المفيدة

الا ان زعمهم هذا لا يحل المسئلة وانما يبعد قليلاً الصعوبة في حلها . لانه سواء كان الشعور الديني منشاء الفكر الديني او كان للشعور والفكر مصدر واحد فلا بدَّ لنا ان نسال من اين جاءنا هذا الشعور ؟

وجواباً على هذا نجد امامنا احد افتراضين . اما ان يكون هذا الشعور خُلق دفعة واحدة بفعل خلق خصوصي واما انه نشاء تدرجاً تبعاً لناموس الارتقاء . فاذا اتبعنا الاول الذي اتبعه الاقدمون وعليه اكثر البشر لعهدنا هذا فالمسالة تكون قد حلَّت اذ يكون الانسان قد مُنح الشعور الديني من مبدع حكيم فهو منطبق اذاً على مقاصد هذا المبدع . وان اتبعنا الافتراض الثاني وسلمنا بما يوجبه مذهب الارتقاء من ان القوى هي نتيجة التحولات العديدة التي طرات على الانسان بفعل المؤثرات والاحوال الخارجية عليه تعين ان نسلم بوجود احوال خصوصية اوجبت نشاءة الشعور الديني ومن ثم يكون حكمه حكم سائر القوى النفسية . واذا صح ايضاً ما يوجبه مذهب الارتقاء من ان الغاية التي تتوجه اليها التحولات الارتقائية هي اعداد الحي لاستكمال ما هو من لوازم وجوده امكننا ان نستنتج من هذا ان الشعور الديني من البواعث المؤدية لسعادة البشر

اذن فسواء كان الشعور الديني خلق دفعة واحدة او نشاء تبعاً لناموس الارتقاء فالنتيجة من كلا الافتراضين توجب علينا احترام الشعور الديني

﴿ اتجاه العقل الى ما وراء حدود العلم ﴾ وهنالك ملاحظة اخرى لا ينبغي ان نضرب عنها صفحاً وهي ان العلم مهما اتسعت دائرة اكتشافاته فهو عاجز عن ان يروي كل الارواء ظماء العقل البشري الى المعرفة . فمهما امعنا في الاكتشاف العلمي فانه يبقى لدينا ولدى من ياتي بعدنا مسالة وهي : ماذا يوجد بعد ذلك ؟ ومهما تقدمنا في التعليل عن اصل الكائنات فلا يمكننا ان نجد مناصاً من هذا السؤال : ما الذي يعلل لنا التعليل نفسه ؟ فاذا كان العلم هو اشبه بدائرة تتسع شيئاً فشيئاً فنموه لا يكون من شانه الا ان يزيد نقط اتصاله بالمجهول الذي يساوره من كل جانب . ويلزم عن هذا ان يوجد على الدوام طريقان ينتهجها الفكر البشري وهما العلم والدين

اذن فالعقل سيشتغل في الاستقبال كما يشتغل في الحال ليس فقط في البحث عن الحوادث الوضعية وعلائقها بعضها ببعض بل بشيء لا يستطاع اثباته بالادلة الواقعة تحت الحواس ولا بد من افتراض وجوده عند النظر الى الحوادث واعتبار علائقها بعضها ببعض . وينتج عن هذا انه ما دام العلم لا يستطيع وحده ان يشغل جميع القوى الانسانية وما دام العقل يوجه انتباهه ابداً الى ما وراء حدود العلم فسيبقى محل للدين على الدوام لان الدين يمتاز بكون موضوعه وراء دائرة العلم والاختبار

والحاصل من جميع ما تقدم ان وجود الافكار الدينية عند جميع الامم ونشاتها مستقلة بعضها عن بعض وحيويتها المستمرة في المجتمع الانساني ووجود الشعور الديني اياً كان منشأه واتجاه الفكر الى ما وراء حدود العلم كل هذا من شانه ان يثبت ان للدين اصولاً عميقة في الانسان لا سطحية كما يتوهم البعض ويدل على ان هنالك حقيقة اساسية قام عليها بنيان الاديان



حيوان غريب واكتشاف علمي

﴿ الذبابة القاتلة احدى غرائب افريقيا ﴾

(دليل جديد على فساد مذهب داروين)

لا نعني بالذبابة القاتلة الذبابة المالوفة التي تقع على بصاق المسلول ثم تقع على الطعام او على فم الانسان فتنتقل اليه جراثيم داء السل او غيره من الامراض المعدية . ولكننا نعني بها ذبابة مختصة بشمالي افريقيا يسمونها تسه تسه كما ورد ذلك في خطبة المسيو هانوتو التي لخصناها في الجزء السابق . ولقد قال المسيو هانوتو عن هذه الذبابة في تلك الخطبة « انها تقع على الدواب فتجرحها جروحاً تميتها ولذلك لا سبيل الى نقل البضائع الا على ظهور الرجال وهذا مما ينزل الانسان في منزلة العجماوات »

ولقد عدّ المسيو هانوتو في تلك المقالة هذا الامر في جملة الاسباب التي اخرت تمدين افريقيا الى هذا الزمن . ثم قال « ان العلماء صاروا يجربون مداواة داء هذه الذبابة بالمصل وهم يؤملون اكتشاف هذا الدواء قريباً . فاذا تمّ لهم ذلك احسنوا الى التمدن في افريقيا اعظم احسان لانهم يردّون اليه نصف هذه القارة التي تفتك بها هذه الذبابة الغريبة »

وبينما كنا نتصفح في هذا الشهر وقائع مجمع العلوم في باريز عثرنا على بلاغ بهذا الشان قدمه اليه جناب الدكتور لافران الذي صرف همه الى درس احوال هذه الذبابة لانقاذ افريقيا من شرها . وهذا البلاغ يشير الى اكتشاف علمي خطير من وجهين . ولبيان ذلك نقول .

وصف الدكتور لافران هذه الذبابة في بدء مقاله فقال انها تُدعى باللغة العلمية « كلوسينا مورسيتان » وهي كباقي الذباب التي تعيش في كل مكان . ولذلك لا يعرفها من لا يعرفها . اما جسمها فهو مرقط في بطنها باسمرار وبياض ولكن باقيه اسود او رمادي ضارب الى السواد

ومن طبيعة هذه الذبابة انها اذا رأت انساناً او حيواناً انقضت عليه بسرعة غريبة ولدعته في الموضع الذي يكون مكشوفاً في جسمه . فينشاء عن ذلك في ذلك الموضع جرح صغير او خمش . وهذا الجرح لا تاثير له في الانسان والبغال والحمير والماعز والحيوانات الوحشية التي تعيش في الاماكن التي تعيش فيها هذه الذبابة كحمار الوحش والفيلة و بقر

الوحش وما اشبهها ولكنه ذا تاثير مميت في بعض الحيوانات الاهلية الداجنة كالفرس والكلب والبقر والغنم . فان هذه الحيوانات تموت احياناً موتاً فجائياً بعد انقضاء ٢٤ ساعة على لذع الذبابة لها واحياناً تظهر فيها اعراض الداء ثم تموت بعد ذلك ببضعة ايام . وهنا ملاحظتان جديرتان بالاعتبار . الاولى حكمة الناموس الطبيعي الذي قضى بان لا يؤثر سم هذه الذبابة في الحيوانات الوحشية التي تعيش معها في واسع البرّ والتي هي معرضة في كل دقيقة وكل ثانية للذعها المميت تعرضاً كان كافياً لفنائها في اسبوع واحد . والثانية ان المسيو هانوتو قد اخطأ في قوله انّ هذه الذبابة تمنع من نقل البضائع على الدواب لانه قد ثبت بالاختبار انها بلا تاثير على البغل والحمار كما تقدم

اما داء هذه الذبابة فانه ينشأ عن مادة سامة تدخلها الذبابة الى جسم الحيوان الملذوع حين لذعها اياه . وهي عبارة عن جراثيم او ميكروبات تحدث تسمماً في الجسم . واهم اعراض هذا الداء رشح سائل من عيون الحيوانات بعد لذع الذبابة اياها وانتصاب شعرها وانتفاخ بطونها وفكوكها وضمورها وضعفها ضعفاً عاماً ينتهي بالموت .

بقي دواء هذا الداء الذي يتمنى المسيو هانوتو اكتشافه انقاذاً لنصف افريقيا من شر عظيم كما قال . فنقول ان الدكتور لافران قد ابلغ مجمع العلوم في البلاغ الذي تقدمت الاشارة اليه انه اكتشف دواء هذا الداء . ولكن دواءه داء آخر يصيب الانسان . فكأنّ هذا الاكتشاف عبارة عن نفع الحيوان بضرر الانسان . ولا غرابة في ذلك فانه قد مرّت قرون واجيال عديدة والحيوان يخدم فيها الانسان بتعبه ولحمه ودمه . فهل كثير بعد هذا ان يخدم الانسان مرة من المرات رفيقه الحيوان

وبيان ذلك ان الدكتور لافران وجد انه اذا حُقن الحيوان الذي لذعته تلك الذبابة بمصل مستخرج من « دم الانسان » فان الداء يضعف بضعف جراثيمه في دم الحيوان المصاب لان هذه الجراثيم تموت في دم الانسان . وقد جرّب الدكتور هذا الامر في عدة حيوانات ملذوعة فتحسنت حالتها سريعاً وشفيت . ولكنه كان اذا احمى دم الانسان الى درجة ٥٢ وحقن به الحيوان المصاب فقدَ هذا الدم مزية قتل جراثيم الداء في جسم الملذوع . واذا ابلغ حرارته الى ٦٢ درجة قلّ تاثيره ايضاً

وبناءً على ذلك يكون دم الانسان الدواء الشافي من هذا الداء

ولكن كيف يحلُّ استخراج دم الانسان لمداواة هذا الداء به . وهب انه امكننا استخراج شيء منه لحقن الحيوانات الصغيرة فمن اين لنا بمقادير كافية لحقن الحيوات الكبيرة.

هنا نقطـة الخلاف وموضع النظر

ومن اجل ذلك رام الدكتور استبدال دم الانسان بدم آخر فجرب دم الحمار والبغل والماعز وغيرها من الحيوانات التي لا يؤثر لذع الذبابة فيها فلم تنفع التجربة . فخطر له حينئذ خاطر ملأه املاً . وهو انه ذكر ان انصار داروين يقولون ان الانسان قد ارتقى عن القرود اي انه كان من قبل بهيئة القرود و بشكلها او بهيئة قرود ارقى من القرود الموجودة اليوم ثم ارتقى على ممر القرون والاجيال وصار الى ما هو عليه الآن . فقال هذا الدكتور في نفسه : اذا كان هذا الامر صحيحاً فلا بدَّ ان يكون لدم القرد خواص دم الانسان لانهما من اصل واحد . ولذلك جاء بدم القرد وجربه في مداواة الحيوانات الملذوعة فلم تنفع التجربة . فقال الدكتور حينئذ : انني رميت بحجر فاصبت غرضين . فانه لا ريب ان هذا دليل من اقوى الادلة على ان الانسان لم يشتق من الحيوان

النهضة الادبية الحديثة في مصر والشام

هل هذه النهضة نهضة حقيقية ام لا

(الامور الواجب الاتفاق عليها بين ارباب الصحافة)

قلنا في الجزء السابق انه قد انهالت علينا رسائل القراء من كل صوب جواباً عن الاسئلة التي القيناها عليهم في الجزء السادس . ولقد كان في النية ان ننشر هذه الرسائل كلها كما ذكرنا ذلك في حينه للدلالة على ما يرتئيه الشرقيون في الصحافة الشرقية خصوصاً لان في هذه الآراء عجائب وغرائب . غير اننا عدلنا عن ذلك اضطراراً لكثرة هذه الرسائل كثرة يضيق عنها حجم جزئين من الجامعة او اكثر . ولذلك راينا ان ننشر منها ما قلَّ ودلَّ ملتمسين العذر من حضرات المراسلين الافاضل وشاكرين لهم اشتراكهم مع المجلة في هذا البحث المهم . وفي يقيننا ان رصفاءنا الكرام ارباب الصحافة العربية لا ينظرون الى هذا البحث بنظر الاهتمام فقط بل هم ينظرون اليه نظر الفكاهة ايضاً ولذلك لا نشك في انهم يغتفرون لبعض المراسلين اذا رأوا في بعض اقوالهم ما لا يسرُّ . ومما يوجب هذا الاغتفار ايضاً ان حضرات المراسلين هم نخبة من افاضل الجمهور وادبائه . ومن المعلوم ان الصحافة للجمهور وهو سيدها وصاحب الراي المحترم فيها كما يعترف بذلك الصحافيون انفسهم

حاجات الصحافة

ونبدأ اولاً بالاجوبة الشعرية لان للشعر حق التقدم . فمن ذلك قصيدة يذكر صاحبها حاجات الصحافة وهو من الشعراء المجيدين الذين ينثرون شعرهم في كل مجلة وجريدة كما يُنثر الزهر في الرياض وينظمون الشعر لذاته وللذّاته لا لامر آخر . قال

سألتَ وربما سال العليمُ ‏ ‏ وشاور غيره الرجل الحكيمُ

سالتَ عن الصحافة كيف امست ‏ ‏ فقلت اصابها خطر عظيمُ

وما ادري وليس سواي يدري ‏ ‏ اتسقط بعد ذلك ام تقومُ

هي الفوضى فقل ما شئت فيها ‏ ‏ يصدق قولك الذوق السليمُ

لقد غدت الصحافة وهي حيرى ‏ ‏ يضلّ سراتها ليلٌ بهيمُ

واعوز اهلها علم ومالٌ ‏ ‏ وراي يستضاء به قويمُ

وشعب لا ينام عن المعالي ‏ ‏ ولا يُرضيه ذو الكسل النؤومُ

وحكام يرون العلم فخرًا ‏ ‏ فما تشقى بجهلهم العلوم

(احمد محرم) الدنجات

الصحافة ورثاء الشرق

واما القصيدة التالية في « الصحافة ورثاء الشرق » فهي جواب شاعر في زهرة الشباب . وفي يقيننا انه اذا انقطع الى الدرس المفيد وفكّ نفسه من التقليد فانه لا يبلغ الثلاثين او الاربعين الا وهو في مقدمة شعراء المتاخرين . ولا غرو فانه من نبعة رافعية . قال

ما احتاج هذا الشرق للقائلِ ‏ ‏ بمثل ما يحتاج للفاعلِ

وما الذي نسمع من اهله ‏ ‏ يبلغ منه مبلغ العامل

كم ملأوا الافق بصيحاتهم ‏ ‏ وطاولوا النجم بلاطائل

وسيّروها صحفاً بعضها ‏ ‏ عن بعضها في شغلٍ شاغل

تحتشد الاقلام فيها كما ‏ ‏ يختلط الحابل بالنابل

ويجتمع الحق الى خصمه ‏ ‏ وليتها تقضي على الباطل

وهي وان لم تك من لؤلؤ ‏ ‏ حلية ذاك الاجيد العاطل

انشدها الله وميثاقه ‏ ‏ ان تنصف الجد من الهازل

وترفع العلم وابناءه ‏ ‏ وترفع الجهل عن الجاهل

وتوقظ الخامل من نومه فكم بهذا الشرق من خامل
وتذكر الغرب وآياته وتضرب الامثال للغافل
اتى همى القطر على ارضنا مبشرًا بالعارض الهاطل
ورنحت اعطافنا هزة كما يدب الخصب في الماحل
تصقل عضب الشرق من بعدما قد كان لا يحتاج للصاقل
ما الذنب للعضب اذا مانبا وانما الذنب على الحامل
ياعصبة الشرق اما انتمُ ابناء ذاك السلف الباسل
ان يزل الظل فلا تيئسوا نفيئوا ظلاً سوى الزائل
لا يبرأ المذنب ان يعتذر عن ذنبه بالقدر النازل
فانصفوا ناصحكم واسمعوا وانصتوا للقول والقائل

شبين الكوم (مصطفى صادق الرافعي الطرابلسي)

وبقيت بعض قصائد طويلة ضاق عنها المجال فالمرجو المعذرة من حضرات اصحابها الافاضل

تلخيص بعض الرسائل

وهنا ننتقل الى النثر فنلخص بعض الرسائل التي اخترناها للنشر ونرجو المعذرة من اصحاب الرسائل التي ضربنا صفحًا عنها لان المجال ضيق دونها

ونبدأ اولاً برسالة لحضرة الدكتور امين افندي الخوري في المنصوره ولا ريب ان حضرات القراء في مصر وخارج مصر قد سمعوا بشهرة الدكتور خوري في عالم الادب . قال جناب الدكتور : « ان الصحافة معذورة واسباب عذرها كثيرة يطول شرحها ولا يفيد التنبيه اليها لان الداء دفين ومضعفات العلة اشدّ خطرًا من العلة نفسها . وما الحيلة باستبداد الحكومة وذل الشعب وفقر العامل وجهله حالتي الحاكم والمحكوم وواجباتها . واما النهضة فهي ولا شك كائنة وبا كثر من المامول وهي في كل يوم بازدياد واسبابها « المهاجرة » لا المجاهرة »

ومنها رسالة توقيعها « محفوظ » والصحيح انه « حافظ » لا محفوظ . وهي عبارة عن كتاب مفتوح لجناب نجيب افندي الجاويش صاحب الراي الشديد على الكتّاب وعلى الصحافة الذي نُشر في الجزء السادس . وقد استهلّ الكاتب « محفوظ » كتابه بقوله يخاطب رصيفه جناب نجيب افندي « اكتب اليك ولا علمَ لي بك والذي حركني لذلك معانٍ

لاحت لي من خلال سطورك رغماً عن لسان مسكته وقلم قيدته مخافة ان يكون كحزقيال يخاطب عظاماً يابسة » ثم يسهب الكاتب في بيان واجبات الكتاب والصحافة فيقول « ومما يقال في الجرائد عموماً وفي السورية منها خصوصاً انها تنطق بلسان الحاكم ويحررها قلم المامور مشحونة بالمدح الفارغ مما تقتضيه اغراض منشئيها » وبعد ذلك يهدي الى الشرقيين اربع نصائح رابعتها « العمل بما جاء في الجامعة في الجزء الخامس من هذه السنة الصفحة ٦٤ من رواية فريسة الاسد السطر ٢ و٣ و٤ » ثم يختم الكاتب رسالته الطويلة الى رفيقه بقوله « هذا ما ارتأيته كتبته اليك على سبيل الاختصار فاهبط عليّ بافكارك والا استودعك الله الى وقت آخر يجمعنا به ذلك الرجل » فلا عجب اذا لم يفهم القارىء شيئاً من هذا الختام

وهنالك رسالة من اسيوط لكاتبها جناب عزيز افندي السايح وقد جاء فيها ما ياتي « لو جُمعت مادة وزبدة الجرائد العربية جميعها لامكن ادراجها في جريدة او جريدتين بالاكثر لان اكثر ما تاتيه الصحف هو مدح في زيد وهجو في عبيد واحتفل بقران فلان وبجناز فلان ولولا الجرائد الافرنجية التي يترجم عنها اكثر مواد الجرائد العربية لانعدمت وصارت فارغة » ثم قال « وعندي ان الجرائد لا تقوم بواجباتها حق قيام الا اذا غضت الطرف عن وجاهة الواحد وحقارة الآخر وجعلت الصدق في اقوالها والحق في اعمالها من اعظم مبادئها وعدم المحاباة من اهم اركانها . اما الاعتقاد بوجود نهضة ادبية فلا اظنه انه خطر بالبال »

واليك رسالة من القرشية لصاحبها جناب اسماعيل افندي يسري قال فيها : « ان الذي يمعن النظر في احوال الجرائد والمجلات العربية وخصوصاً في مصر لا يؤمل ان يجني من ثمرها اصلاحاً بل يتاكد ان بعضها طاعون الافكار والقليل الحسن منها لا يكفي لترقية شؤون امة عددها ١٢ مليون نفس تقريباً »

واما الرسالة التالية فهي من رام الله قرب القدس لكاتبها جناب فرج افندي فرج الله وقد جاء فيها « ان الصحافة عندنا قد تجاوزت دور الطفولية الى الشباب . واني لا انكر ان في الشرق حركة جديدة ولكنها لم تصر بعد نهضة على الاقدام ولعلها لا تصير كذلك اذا بقي الحال كما هو . ذلك لان الشرقيين كرضيع احس بالجوع وبوجود الاكل قريباً منه ففغر فاه ليلتقم بجهله كل ما تصيبه شفتاه من نافع ومضر . والنصيحة لهم لينهضوا ويحسنوا القيام ان يربوا ويعلّموا منذ الصغر ان يحسنوا التمييز بين النافع والمضر »

والرسالة التالية من بسيون لكاتبها حضرة ي · س احد القراء وفيها « الجرائد همها مصروف في احوال البلاد السياسية من رفع وخفض ومدح وذم · ويحملها على ذلك سعة الورق مع قلة المادة وضيق الوقت وقد لا يكتفي البعض بذلك فيضيف الى جريدته ذيلاً يستحق القطع » ثم شدد الكاتب النكير على المقلدين والمقلدات « لان الشرقي يقلد بغير علم ولا حساب ولو علم ان الثوب المستعار لا يدفىء لطرح التقليد جانباً »

اما صاحب الرسالة التالية وهو جناب محمد شمس الدين افندي الصحن في الثغر فقد احصى المال الذي يدخل على الصحافة من الجمهور في مصر فبلغ في احصائه ٤٠ الف جنيه· فقال : « تتحسن حالة الجرائد اذا تركت مدح زيد وذم عمرو لاغراضها وان لا تكتب الا فيما يعود على البلاد بالنفع والفائدة · وحينئذ تستحق الـ ٤٠ الف جنيه التي تاخذها من الامة »

وقال جناب احمد افندي حافظ بالبوسطة في الثغر في ضمن رسالته « الجرائد العربية الموجودة في الشرق مفيدة ولكنها تكثر الاطالة في مواضيع احياناً لا تفيد الشعب بشيء ولا تعود عليه بالنفع المطلوب لارتقائه »

واما الرسالة التالية فهي من جناب خليل افندي ديراني في دمشق الشام وفيها « الاعتقاد بالنهضة الادبية هو بين بين لانها كالبيت المبني على الرمال تتهدم الاخطار وما ذلك الا من عدم مجراها في مجاريها واتباعها قوانينها · وما دامت على هذه الحال فان الزوابع تذريها ما لم تؤسس على صخر العلم بالعمل والتربية على الفضيلة والآداب »

وقال جناب جرجي افندي نقولا باز في بيروت « يوجد في بعض ممالك الشرق نهضة ادبية حقيقية اكثر مما هي وهمية · ويحتاج الشرق والشرقيون الى العلم الحقيقي العملي »

ومن رسالة لجناب ابرهيم افندي ابرهيم « نصيحتي للشرق والشرقيين ان يتحدوا بالوطنية ويتعلموا الاستقلال ويعاملوا بعضهم بعضاً معاملة الاخاء والمساواة وان ينبذوا التعصب الديني والعادات والاراء الضارة التي ورثوها عن الآباء والاجداد »

قول بليغ في النهضة

بقي ان ننشر رسالتين الاولى « لاحد الكتاب » المطلعين · وهذا نصها من غير اختصار

« انني من الذين يعتقدون بوجود نهضة ادبية في الشرق ومن الذين لا يعتقدون بوجود هذه النهضة · وايضاحاً لهذا القول اقول

« اذا كان معنى « النهضة » نهوض الكتاب الى الكتابة فهذه النهضة موجودة لان

المجلات والجرائد والكتب تتناثر على القراء تناثر ورق الخريف . واذا كان معنى النهضة حدوث تقدم في الشرق ادبياً ومادياً فهذا امر ثابت لا ينكره احد وانما الخلاف في هل ان هذا التقدم متبع سيرًا تدريجياً ينتهي الى كماله ام لا . واما اذا كان معنى النهضة ان المؤلفات التي تُنشر الآن هي دليل على ارتقاء العلم والادب في الشرق ارتقاء حقيقياً مبنياً على اساس وطيد لا يُخشى عليه في المستقبل فهذا قول فيه نظر

« وبيان ذلك ان في ازمان النهضات العلمية والادبية في العالم ينبغ رجال من اهل العلم والادب يكونون كاساس للنهضة في بلادهم وتكون كتبهم ومؤلفاتهم بالغة من الكمال العلمي والادبي درجة لا يتجاوزها الذين ياتون بعدهم مهما ابتكروا وابتدعوا . ففي النهضة الانكليزية قام باكون وشكسبير وغرين و بيل وغيرهم كما ذكرته الجامعة في ترجمة شكسبير وفي النهضة الفرنسوية قام كورنيل وراسين وموليير و بوالو ولافوازيه وديكارت وفولتير وروسو . وكتب هؤلاء المؤلفين لا تزال في دور الشباب الى الآن كانها كُتبت منذ عامين . فهل عندنا من الكتب والجرائد والمجلات ما يستحق ان يحيى الى ما بعد نصف قرن و يكون مرجعاً لاحفادنا بعدنا . هذا امر اشك فيه كل الشك

« ومما لا يحتاج الى بيان انني قلتُ « نهضة ادبية » كما قالت الجامعة ولم اقل « نهضة علمية » اذ لا خلاف قطعياً في انه لا اثر للنهضة العلمية في بلادنا لان العلم الصحيح يجب ان يكون مبنياً على الدرس العملي كالمشاهدة والتجربة والاختبار لا على الاخذ عن علماء الافرنج . مثال ذلك ان من رام كتابة تاريخ الفرس يجب ان يزور مملكتهم و يستقصي آثارهم و يدرس عاداتهم واخلاقهم في نفس بلادهم لا في غرفة التحرير . ومن رام الكتابة في طبائع النحل يجب ان يكون قد ربى نحلاً وراقب معيشتها مراقبة دقيقة سنوات عديدة . وهلم جرًا

« ولست اعني بذلك ان اللوم واقع على المشتغلين بالعلم والادب وحدهم فان « الطفرة محال » كما قال كاتب يحسبه بعض الكتاب من زعماء النهضة الادبية . وذلك لان هذا التقليد لا بدَّ منه في بدء الامر ولا ياتي الابتكار والابتداع الا في دورٍ ثانٍ . ولكن اللوم اكثره واقع على الاغنياء والجمهور والحكام الذين لا يساعدون الكتاب والعلماء عندنا مساعدة تمكنهم من التفرغ للدرس العملي والانقطاع لفروع العلوم التي يشتغلون بها وهو ما يسميه العرب « الاخصاء » على ما اظن . ومعنى ذلك ان المستعد بفطرته للبحث في الفلسفة ينقطع اليها دون سواها . والمستعد بطبيعته للجيولوجيا يتفرغ اليها وحدها . والمهيأ

للتاريخ لا يشتغل بسواه · والذي خُلق لدرس المسائل السياسية لا يتعداها· فمتى توزّعت فروع العلوم هكذا على الكتاب والمشتغلين بالعلم امكنهم ان يصلوا في فنهم الى درجة الابتكار وارتقت النهضة في الشرق ارتقاء عظيماً · واما اذا اقاموا كما هم الآن اي ان كل واحد منهم يكتب في كل فروع المنقول والمعقول ارضاء للقراء فالنهضة تبقى سطحية اذ ليس لاصحابها من وقت ولا وسيلة للوصول الى الاعماق »

اولى حاجات الشرق

والرسالة الثانية « لاديب » فاضل ينظر الى هذه المسالة من جهة اخرى وهذا نصها

« اولى حاجات الشرق وصحافته وحكامه واهله كبارهم وصغارهم كلمة واحدة وهي "الاخلاق" وهذا نقص ظاهر في كل شيء فيه تقريباً · فاذا كانت الاخلاق شريفة في كل عمل ادبي او مادي كان ذلك بمثابة هواء نقي يستنشقه الانسان و يعيش منه واذا كانت فاسدة فسد كل شيء بفسادها · فالحاكم اذا كان شريف الاخلاق وقف قواه لخدمة الجمهور فكان في ذلك غنى عن كل نظام ودستور · والناس اذا كانوا كرام الاخلاق جعلوا الارض مسكناً للملائكة كالسماء وكانت معيشتهم كلها هناء في هناء · والصحافة اذا كان جميع اصحابها اصحاب اخلاق لم يعد ينقصها شيء من الاشياء · فانها حينئذ تترك التمليق والرياء · والمدح والثناء · وتقدم مصلحة الجمهور حقيقةً على كل مصلحة · فلا تعود ترى فيها ما تراه فيها من تكبير الصغير وتصغير الكبير في مقابلة بضعة من الدراهم والدنانير · ولا تعود ترى اثرًا لعداوة الصناعة التي تجعلها تدوس المبادىء وتغض من كرامة رصيفاتها لتجر بذلك مغنماً لذاتها · فالاخلاق الاخلاق : هذه هي حاجتنا الكبرى

«ومتى ترأست الاخلاق الصحافة في الشرق اطلقت فيها الحرية للنقد الصحيح اذ يكون الغرض منها اعلاء شأن الشيء الحسن المفيد واسقاط شأن الشيء الرديء · وحينئذ يوضع كل شيء في موضعه فيقبل القراء على الحسن و يتركون الرديء الضعيف طبقاً لناموس الارتقاء · وليس يُخشى على هذا الناموس ان يبطل فيما يختص بالصحافة الشرقية لان النواميس الطبيعية لا يقف شيء في طريقها · وانما يُخشى ان تعيقه حالة الصحافة الحاضرة مدة من الزمان · اما اذا نزهت الاخلاق هذه الصحافة واعطت كل شيء حقه بقسط وعدل فان هذا الناموس يجري في مجراه و يصل الى غرضه في وقت قريب»

هذا ما اضطررنا الى الاكتفاء بنشره لضيق المقام . ونحن ناسف لاننا لم ننشر اقوال رصيفاتنا التي شاركتنا على صفحاتها في هذا البحث . وبما اننا قد اقفلنا هذا الباب في هذا الجزء فسننشر في الجزء التالي المواد التي يجب استخراجها من اقوال حضرات المراسلين كما ذكرنا في ما تقدم

والذي سرنا في هذا الموضوع ايضاً وقوفنا على آراء حضرات القراء في مجلتهم ,وقد استفدنا شيئاً كثيرًا من نصائحهم بشانها كما انه قد سرنا رضاهم عن خطتها وقدرهم التعب الذي نبذله فيها حق قدره . وفقنا الله واياهم الى ما فيه النفع العام وهو حسبنا ونعم الوكيل

عود الى ابن رشد

لما همنا بكتابة ترجمة فيلسوف الاسلام ابي الوليد ابن رشد المنشورة في صدر هذا الجزء اخذنا في مطالعة بعض كتبه وما كتبه العرب والافرنج عنه . وبما ان الفيلسوف رنان قد الف كتاباً ضخماً (١) عن ابن رشد وتاريخه ومبادئه فقد بعثنا نطلب هذا الكتاب لنستعين به ايضاً . فلما وردنا هذا الكتاب ظهر لنا من مطالعته انه جدير بالنقل والتلخيص لاشتماله على تاريخ الفلسفة في ذلك الزمن وتاريخ انتقال صوجان المجد والعلم والمدنية من عرب الاندلس الى الاوربيين وهو الحادث العظيم في التاريخ الانساني . ولذلك عزمنا على تلخيصه في الجامعة ايضاً . ولا ريب عندنا ان القراء يجدون في هذه الخلاصة من الاقوال الفلسفية الرنانية والاستنتاجات المفيدة والتصورات الغزلية الجميلة ما تعودوه في اقوال رنان

ولقد نشر رنان في ذيل كتابه هذا صفحات باللغة العربية لعدة من مؤلفي الاندلس الذين ذكروا ترجمة ابن رشد كابن العبار والانصاري وابن ابي اصيبعة والدهبي . وقد راينا ان نلخص شيئاً من هذه الاقوال لانها لم ترد في الترجمة التي نشرناها في صدر هذا الجزء فضلاً عن انها منقولة عن كتب محفوظة في مكاتب اوربا الكبرى التي اخذها رنان منها

(١) عدد صفحاته ٤٨٦ صفحة بحجم الجامعة

شهادة ابن العبار

قال ابن العبار كانت الدراية في ابن رشد اغلب عليه من الرواية ولم ينشأ بالاندلس مثله كمالاً وعلماً وفضلاً · وقد عُني بالعلم من صغره الى كبره حتى حكي عنه انه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل الا ليلة وفاة ابيه وليلة عرسه · وقد سوَّد في ما صنف وقيَّد والف وهذب واختصر نحوًا من عشرة الاف ورقة · وكان يُفزع الى فتواه في الطب كما يُفزع الى فتواه في الفقه · وقد حكى عنه ابو القاسم بن الطيلسان انه كان يحفظ شعري حبيب والمتنبي ويكثر التمثل بهما في مجلسه

شهادة الانصاري · والمنشور الذي نشره الخليفة بتحريم فلسفة ابن رشد

اما ما نقله رنان عن الانصاري ففيه منشور في غاية الاهمية وقد وجه اليه رنان في مقدمة الكتاب نظر المستشرقين · وهذا المنشور هو نسخة الرسالة التي نشرها المنصور في الاندلس ومراكش يحذر الناس فيها من مبادىء ابن رشد وتلامذته · وقد كتب هذا المنشور كاتب المنصور ابو عبدالله بن عياش · ومما جاء فيه قوله « لما اراد الله فضيحة عمايتهم · وكشف غوايتهم · وُقف لبعضهم على كتبٍ مسطورة في الضلال · موجبة اخذ كتاب صاحبها بالشمال · ظاهرها موشح بكتاب الله · وباطنها مصرح بالاعراض عن الله · لُبس منها الايمان بالظلم · وجيء منها بالحرب الزبون في صورة السلم · مزلة للاقدام · وهمٌ يدب في باطن الاسلام » وايضاً « فانهم يوافقون الامة في ظاهرهم وزيهم ولسانهم · ويخالفونها بباطنهم وغيهم وبهتانهم · فلما وقفنا منهم على ما هو قذى في جفن الدين · ونكتة سوداء في صفحة النور المبين · نبذناهم في الله نبذ النواة · واقصيناهم كما يُقصى السفهاء من الغواة » وايضاً « فاحذروا وفقكم الله هذه الشرذمة على الايمان · حذركم من السموم السارية في الابدان · ومن عُثر له على كتاب من كتبهم فجزاؤه النار التي بها يُعذب اربابه · واليها يكون مآل مؤلفه وقارئه ومآبه · والله تعالى يُطهر من دنس الملحدين اجتماعكم · ويكتب في صحائف الابرار تضافركم على الحق واجتماعكم انه منعم كريم » اه

وقد اشار الانصاري الى محاكمة ابن رشد لدى علماء قرطبة في جامعها الكبير فقال « وقد قُرئت (فلسفة ابن رشد) بالمجلس وتدولت (١) اغراضها ومعانيها وقواعدها ومبانيها

(١) ان رنان يصحح هذه الكلمة في حاشية الكتاب فيجعلها « تداولت » والصحيح « تُدولت » بناء على المجهول لانها معطوفة على « قُرئت » على انه صحح في الاصل العربي في مواضع اخرى عدة اغلاط ناشئة عن خطاء في النسخ فكان مصيباً في تصحيحه كل الاصابة

نخرجت بما دلت عليه اسواء مخرج وربما ذيلها « مكر الطالبين » فلم يمكن عند اجتماع الملاء الا المدافعة عن شريعة الاسلام » وعند الاجتماع تكلم القاضي ابو عبد الله بن مروان فكانه رام تخفيف التهمة فقال ما معناه « ان الاشياء لا بدّ في كثير منها ان تكون له جهة نافعة وجهة ضارة كالنار وغيرها فمتى غلب النافع على الضار عُمل بحسبه ومتى كان الامر بالضد فالبضد . فابتدر الكلام الخطيب ابو علي بن حجاج وعرّف الناس بما « أُمر به » من انهم مرقوا من الدين » ثم امر ابو الوليد بسكنى اليسانه (ليسنه) وكان اكثر اهلها من اليهود . وقد قال الانصاري انه أمر بسكناها « لقول من قال انه يُنسب في بني اسرائيل . وانه لا يعرف له نسبة في قبائل الاندلس »

وروى الانصاري ان من اسباب نكبة ابن رشد « اختصاصه بابي يحيى اخي المنصور والي قرطبة » ومنها ايضاً انه كتب في كتاب الحيوان « ورايت الزرافة عند ملك البربر » يعني الخليفة المنصور ملك العرب لان اليونان كانوا يلقبون العرب كذلك . فلما بلغ المنصور هذا القول من حساد ابن رشد ساله عنه فاجابه انني كتبت « ملك البرين » فقرأُوا ملك البربر . فاسرها المنصور في نفسه

ومن ذلك ما حدث به الشيخ ابو الحسن الرعيني عن شيخه ابي محمد عبد الكبير . قال عن اتهام الناس ابن رشد بالالحاد « ان هذا الذي يُنسب اليه ما كان يظهر عليه . ولقد كنت اراه يخرج الى الصلوة واثر ماء الوضوء على قدميه وما كدت آخذ عليه فلتة الا واحدة وهي عظمى الفلتات » وبيان هذه الفلتة انه شاع في المشرق والاندلس ان ريحاً عاتية تهب في يوم كذا وكذا فتهلك الناس . وقد طبق هذا الحديث البلاد فجمع والي قرطبة طلبتها وعلماءها وفيهم ابن رشد وهو القاضي بقرطبة يومئذ ليسالهم عن ذلك . ولما انصرف الطلبة تكلم ابن رشد وابن بندود في شان هذه الريح من جهة الطبيعة قال الانصاري . « فقال ابو محمد الكبير : ان صحّ امر هذه الريح فهي ثانية الريح التي اهلك الله تعالى بها قوم عاد اذ لم تُعلم ريح بعدُ يعم هلاكها . فانبرى (١) ابن رشد ولم يتمالك ان قال : والله وجود قوم عاد ما كان حقاً فكيف سبب هلاكهم . فسقط في ايدي الحاضرين واكبروا هذه الزلة التي لا تصدر الا عن صريح الكفر والتكذيب لما جاءت به آيات القرآن الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه »

---

(١) في الاصل « فانبدى » ولعل رنان لم ينتبه اليها او انها خطاء مطبعي

وقد نقل الانصاري ابياتاً كثيرة في ذم ابن رشد منها قول الحاج ابي الحسين بن جبير

الآن قد ايقن ابن رشد   ان توالیفه توالف
یاظالماً نفسه تامل   هل تجد اليوم مَن تُوالف

وله ايضاً

لم تلزم الرشد يا ابن رشد   لما علا في الزمان جدك
وكنت في الدين ذا رياء   ما هكذا كان فيه جدك

شهادة ابن ابي اصيبعة

اما ابن ابي اصيبعه فانه يقول عنه انه اوحد في علم الفقه والخلاف . وانه كان ذكياً رث البزة قوي النفس . وانه « متى حضر مجلس المنصور وتكلم معه او بحث عنده في شيء من العلوم يخاطب المنصور بان يقول : تسمع يا اخي ؟ » وكان الخليفة المنصور يستاء من ذلك في سره . وقد قال ابن ابي اصيبعة ايضاً « وخلف (ابن رشد) ولداً طبيباً عالماً بالصناعة يقال له ابو محمد عبدالله وخلف ايضاً اولاداً قد اشتغلوا بالفقه واستخدموا في قضاء الكور . ومن كلام ابي الوليد بن رشد : من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايماناً بالله تعالى » ثم احصى مؤلفاته في صفحتين ونصف وقد اشرنا اليها

هذا ما رأينا ضمه في هذا الفصل الى ترجمته في صدر الجزء لتتم الفائدة . وقد نشرناه هنا لان هذا الكتاب وردنا بعد طبع باب المشاهير

﴿ تقرير المتحف والمكتبة البلدية ﴾ وضع جناب الدكتور بوتي مدير المتحف في الثغر تقريراً عن المتحف والمكتبة البلدية في السنة الماضية ورفعه الى جناب رئيس لجنة المتحف والمكتبة . وقد اهدتنا اللجنة نسخة منه فاذا به يشتمل على ما جدَّ في تلك السنة من نبش الآثار القديمة في كوم الشقافة وغيرها . ويؤخذ منه ان معدل الداخلين الى المكتبة البلدية ٢٨ شخصاً في كل يوم على اننا نرجح انه لو كانت المكتبة في مكان قرب المنشية لما نقص هذا المعدل عن مائة شخص في كل يوم . فعسى ان لا يبطئ المجلس البلدي في انشاء بنائه الجديد على الرصيف الشرقي لينقل المكتبة اليه وبذلك يحقق اماني محبي المطالعة في الثغر

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

تأثير مدرسة سورية واحدة

لحضرة المدموازل روزا انطون

اطلب العذر من قارئات الجامعة في هذا الفصل فانني اريد ان اقوم بشيء من الواجبات التي عليَّ للمدرسة التي نشأت فيها وربيتُ بين تلميذاتها العزيزات وذلك بان اظهر للملاء فضلها وفضل حضرة الرئيسة الكريمة التي تتولاها منذ ٢٥ عاماً دون انقطاع وذلك بمناسبة الاحتفال السنوي الذي جرى فيها في الشهر الماضي

واكثر القارئات العزيزات يعرفن انني اعني بهذه المدرسة مدرسة البنات الاميركية الكبيرة في طرابلس الشام وهي التي تديرها حضرة الرئيسة الفاضلة مس لاكرانج التي شهد فيها الاميركيون والسوريون انها من اللواتي صدق فيهنَّ شاعرنا العربي الذي قال

ولو كان النساء نظير هذي لفضلتِ النساء على الرجالِ

وانني اعتبر ان من كمال حظ العيال الطرابلسية في طرابلس ان يكون لديها مدرسة كهذه المدرسة تتولاها رئيسة كهذه الرئيسة · ذلك ان الامر المهم في المدارس ليس بناء جدرانها وحشد التلامذة والاساتذة فيها ولكن اقامة عقل سامٍ فيها سنوات متوالية يتولى في اثنائها ادارة كلياتها وجزئياتها بحكمة ومهارة تؤديان الى الغرض المقصود من انشاء المدرسة وهو حسن التربية اي بث الاخلاق الحسنة وحسن التعليم اي انارة العقل وتوسيع المدارك · وحسب الباحثين عن فوائد المدارس وتاثيرها في الهيئة الاجتماعية ان ينظروا الى هذه المدرسة فقط · فانها اصبحت في طرابلس عبارة عن نقطة تدور حولها دائرة اكثر العيال الطرابلسية ولذلك ترى رئيستها الفاضلة اماً للصغيرات وصديقة للكبيرات

وترى محفلها نادياً يتردد فيه احياناً صدى الوعظ والارشاد واحياناً صدى الخطب الادبية المفيدة التي يقوم بها نخبة من افاضل الفيحاء مرة بعد مرة . فلو كانت جميع الطوائف في سوريا وطننا المحبوب تبذل هذا الجهد في التربية والتعليم والارشاد والنهوض الى العمل المفيد لاصبحت سوريا في احسن حال في وقت قريب

ولقد عرف الاميركان فضل هذه المدرسة ورئيستها الكريمة ولذلك يحترمونها احترامهم لعاملة وقفت حياتها للخدمة العمومية . ولما سافرت منذ ثلاث سنوات الى اميركا احتفلوا باستقبالها هنالك احتفالاً عظيماً . وليس الطرابلسيون والطرابلسيات باقل عرفاناً للجميل فانهم احتفلوا في الشتاء الماضي احتفالاً مؤثراً بيوبيلها الفضي اي بانقضاء ٢٥ عاماً عليها وهي تتولى رئاسة المدرسة

وفي اوائل الشهر الماضي احتفلت حضرة الرئيسة بتوزيع الشهادات على التلميذات المنتهيات في هذا العام . فكان احتفالاً بهيجاً وقد القت فيه المنتهيات خطباً مفيدة . فخطبت حضرة المدموازل اسما زرعوني خطبة الترحيب ثم اردفتها بخطبة في « الفن المهمل » اي التربية . ثم تلتها حضرة المدموازل لورتا لاذقاني فالقت خطبة في « الآداب » وحضرة المدموازل فيكتوريا كاتسفليس فخطبت في « اليد الفاضلة » وحضرة المدموازل زكيه غراب في « التمدن الحقيقي » وحضرة المدموازل مرتا عطيه في « كتاب عجيب » وحضرة المدموازل اسما صيبعه في « ساحة الحرب » واردفت خطابها بالوداع . وبعد ذلك تلا جناب القس وليم ادي الخطاب العمومي في « اقتدار الشخص الواحد » ووزعت حضرة الرئيسة بيدها الكريمة الشهادات على المنتهيات صاحبات الخطب وخُتمت الحفلة بخطبة من جناب المعلم جرجس الخوري استاذ اللغة العربية في هذه المدرسة موضوعها « ارشاد المنتهيات »

فانا في هذا المقام اهنىء رفيقاتي المنتهيات العزيزات بقطعهن مراحل العلم والعمل وفوزهن بهذا الاكليل الادبي الذي ضُمَّ الى اكليلهن الطبيعي اعني اكليل الفضيلة والجمال والطهارة . واسال الله ان يكثر في سوريا وطني الاول ومصر وطني الثاني مدارس البنات النافعة القادرة ان تربي للمصريين والسوريين امهات وربات منازل لهن رائحة الورد ونشاط النحلة ووداعة الحمامة واخلاق رئيستي الفاضلة

باب التقريظ والانتقاد

الانصاف

﴿ في اسباب الاختلاف بين المسلمين ﴾

تاليف الامام ابي محمد عبد الله ابن السيد البطليوسي

اختلف المسلمون والمسيحيون في تفسير الانجيل والقرآن اختلافاً جعلهم فرقاً فرقاً لان كل قارىء منهم يفسر الآيات كما يفهمها ويحضره تفسيرها . ولذلك مست الحاجة في بعض اجزاء المسيحية الى سلطة عليا تفسر تلك الآيات ويخضع الجميع لتفسيرها وذلك ما جرّ الى اثبات العصمة البابوية . وبناء عليه فمتى صدر من الفاتيكان تفسير فقد قطعت جهيزة قول كل خطيب ولم يعد يجوز لاحد الاعتراض على هذا التفسير . ولذلك قال المسيو ولدك روسو رئيس الوزارة الفرنسوية السابقة لاحد قسس البروتستنت في خطبة له في احدى سياحاته ان الجمهورية والمذهب البروتستنتي على اتفاق تام لانهما لا يرهبان تحكيم العقل ويطلقان الحرية للنقد في اهم الشؤون

اما المسلمون فانهم رغبة في الخلاص من تلك الاختلافات العديدة التي نشأت عن اختلافهم في التفسير والنقل طرقوا سبيلاً آخر غير اثبات العصمة لرئيسهم الاعلى وذلك لان مبدأ العصمة لا ينطبق على روح شريعتهم الشعبية التي من امثالها عندهم قولهم « العصمة لله وحده » . وهذا السبيل الذي طرقوه هو اقفال باب « الاجتهاد » وتحريمه . فكانَّ المسيحيين فضلوا حلّ هذه المسالة حلاً ايجابياً والمسلمين فضلوا حلها حلاً سلبياً

وامامنا الآن كتاب صغير الحجم كبير النفع عنوانه « الانصاف » وموضوعه البحث في ما نحن الآن في صدده اي « التنبيه على الاسباب التي اوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم » وقد الف هذا الكتاب الامام ابو محمد عبدالله بن محمد بن السِّيد (١) البطليوسي النحوي الذي نشاء في بلنسية بالاندلس وتولى نشره حضرة احمد افندي عمر المحمصاني البيروتي الازهري

---

(١) سمى كورنيل المؤلف الفرنسوي المشهور ابلغ رواياته « السيد » لان بطلها

وهذا الكتاب يشتمل على ثمانية ابواب بسط فيها المؤلف اسباب الاختلاف · واتماماً للفائدة نذكر هذه الابواب ونقتطف مثلاً من كل واحد منها

الباب الاول في الخلاف العارض من جهة اشتراك الالفاظ واحتمالها التاويلات الكثيرة · مثال ذلك الحديث « قصوا الشارب واعفوا اللحى · قال قوم معناه وفروا وكثروا وقال آخرون قصروا وانقصوا · وكلا القولين له شاهد في اللغة »

والباب الثاني في الخلاف العارض من جهة الحقيقة والمجاز · مثال ذلك ما جاء في القرآن « يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم · ومعلوم ان الله تعالى لم ينزل من السماء ملابس تلبس وانما تاويله والله اعلم انه انزل المطر فنبت عنه النبات ثم رعته البهائم فصار صوفاً وشعراً ووبراً على ابدانها ونبت عنه القطن والكتان فاتخذت من ذلك اصناف الملابس فسمي المطر لباساً »

الباب الثالث في الخلاف العارض من جهة الافراد والتركيب · مثال ذلك ما جاء في الحديث « السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه · فبنوا من هذا النوع من الآيات والاحاديث مقالة اصلوها على ان العبد مجبر ليس له شيء من الاستطاعة وصرحوا بان من اعتقد غير هذا فقد كفر » ولكن غيرهم تصفحوا القرآن فوجدوا فيه « لا يرضى لعباده الكفر » « واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » وفي ذلك من الدلائل على الاختيار ما فيه · وجاء في الحديث « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » وفي ذلك اوضح دليل على اختيار الانسان وتاويل للقول الاول

الباب الرابع في الخلاف العارض من جهة العموم والخصوص · مثال ذلك ما جاء في القرآن « ان تُبدوا ما في انفسكم او تُخفوه يحاسبكم به الله · قال قوم ان هذه الآية نزلت عموماً ثم خصصت بقوله صلى الله عليه وسلم : صُفح لامتي عما حدثت به نفوسها ما لم تكلم به او تعمل »

الباب الخامس في الخلاف العارض من جهة الرواية والنقل · قال الامام ابو محمد في

حارب العرب في الاندلس فهابوه ولقبوه بهذا اللقب · غير ان بعضهم ظن ان كلمة « السيد » مشتقة من السيادة والحقيقة ان المراد بها « الذئب » لان السِّيْد بكسر السين وسكون الياء من اسماء الذئب وكان عرب الاندلس يطلقون هذا الاسم على كل شجاع · وبه سمي جد مؤلف هذا الكتاب كما ترى

الصفحة ١١١ من هذا الكتاب « ومن ظريف الغلط الواقع ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم وهب لعلي رضي الله عنه عمامة تسمى السحاب فاجتاز علي رضى الله عنه متعمماً بها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمن كان معه : اما رأيتم علياً في السحاب . او نحو هذا من اللفظ . فسمعه بعض المتشيعين لعلي رضي الله عنه فظن انه يريد السحاب المعروفة فكان ذلك سبباً لاعتقاد الشيعة ان علياً في السحاب الى يومنا هذا »

الباب السابع في الخلاف العارض من قبل النسخ كاختلافهم في هل يجوز ان تنسخ السنة القرآن ام لا وغير ذلك

الباب الثامن في الخلاف العارض من قبل الاباحة كاختلاف الناس في الآذان والتكبير على الجنائز وتكبير التشريق ووجوه القرآت السبع ونحو ذلك

هذه خلاصة هذا الكتاب المفيد فنثني على حضرة ناشره ونتمنى ان يتحف اللغة العربية بغيره من الآثار الاندلسية القديمة .

﴿ ريحانة النفوس ﴾

(في انتخاب العروس)

تاليف حضرة الدكتور امين افندي الخوري في المنصورة

لو اتبع كل كتاب الروايات الطريقة التي اتبعها حضرة الفاضل الدكتور امين افندي الخوري في روايته « ريحانة النفوس في انتخاب العروس » لما خلا كثير من الكتب من الفوائد الحقيقية التي لا ياسف الانسان على وقته اذا طالعها . ويسوءنا ان يكون المجال ضيقاً عن تلخيص هذه الرواية الادبية الطبية لاطلاع القراء على فوائدها . على اننا نكتفي الآن بان نقول انها رواية جديدة الاسلوب والموضوع تتضمن من الفوائد العيلية والعلمية والادبية ما لا يجده القارىء في رواية غيرها . منها في ختام الرواية مخاطباً الزوجة الشديدة الغيرة على زوجها لانها تراه في شغل عنها بسواها

« البسي ما كان محبوباً لديه   وامنعي ما النفسُ منه تشمئز
اجمعي اولادهُ بين يديه   واشغليه فيهم عمن يعز
لا تلحي بالسوءالات عليه   واريه فيكِ نفس المستعز
وابعدي الغيرة مهما فتكت   بالحشى فهي نذير الابؤس
وانفري منها اذا ما هجعت   كالظبا من اسدٍ مفترسِ

انتِ بالحسنى وباللين فقط قد تفوزين لدى ارجاعه
احذري ان تركبي متن الشطط ان دعت حالٌ الى اقناعه
وتأني واعلمي ان الغلط يعتري الانسان في اسراعه
انما المرأة من قد ادركت قصدها تحت لواء الانس
لا مَن الغيرة فيها اشتعلت فاضاعت رشدها بالهوسِ

واما الزوج فانه يخاطبه بابيات منها

تهنأ ويشقى عازب في زعمه بحلاوة هي لو يذوق مرائرُ
عاتب عروسك لا بحضرة تربها ان النساء على النساء ضرائر
هن الاوانس ان نصحت بخفيـة واذا جهرت فانهن نوافر
وامنع بمنزلك الشراب واهله فاذا ابتليت به فانت الخاسر

والرواية كلها على هذا الاسلوب · وقد يكون فيها اشياء نسائية خصوصية لا يُستحسن وجودها في كتاب يقع بين ايدي الجنسين ولكن يجوز للطبيب ما لا يجوز لسواه لان ذلك من شؤون وظيفته في المجتمع البشري

﴿ اسرار البلاغة ﴾

تاليف الامام عبد القاهر الجرجاني

اسرار البلاغة كتاب في علم البيان للامام عبد القاهر الجرجاني « اول من اسس من هذا الفن قواعده واوضح براهينه » كما قال السيد يحيى بن حمزه الحسيني صاحب كتاب الطراز في علوم حقائق الاعجاز · وقد القى جناب العلامة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية هذا الكتاب دروساً في الجامع الازهر ثم عني بتصحيحه ونشره مع حضرة رصيفنا وصديقنا الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاسلامي · وقد قدم حضرة الرصيف لهذا الكتاب مقدمة طويلة قال فيها ما نصه

« لما هاجرت الى مصر في سنة ١٣١٥ لانشاء (المنار) الاسلامي الفيت امام النهضة الاسلامية الحديثة الاستاذ محمد عبده رئيس جمعية احياء العلوم العربيـة ومفتي الديار المصرية اليوم مشتغلاً في بعض وقته بتصحيح كتاب دلائل الاعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني وقد استحضر نسخة من المدينة المنورة ومن بغداد ليقابلها على النسخة التي عنده فسالته عن كتاب (اسرار البلاغة) للامام المذكور فقال انه لا يوجد في هذه الديار

فاخبرته بان في احد بيوت العلم في طرابلس الشام نسخة منه فحثني على استحضارها وطبعه فطلبتها من صديقي الحميم العالم الاديب عبد القادر افندي المغربي وهي مما تركه له والده فلبى الطلب . وعلمنا ان نسخة اخرى من الكتاب في احدى دور الكتب السلطانية في دار السلطنة السنية فندبنا بعد طلاب العلم الاذكياء لمقابلة نسختنا بتلك النسخة فخرج لنا من مجموعها نسخة صحيحة شرعنا في طبعها ووضعنا في ذيل المطبوع شرحاً لطيفاً ضبطنا فيه الكلمات الغريبة وفسرنا منها ومن جمل الكتاب ما رايناه يستحق التفسير واشرنا الى الخلاف بين النسختين فيما يحتمل صحة الاثنتين »

ومما لا يحتاج الى بيان ان طلبة البيان واساتذته لا يستغنون عن هذا الكتاب الثمين وهو يُطلب من جميع المكاتب ومن ادارة مجلة المنار في العاصمة

وقد نشر حضرة الوصيف الفاضل منشىء المنار في ذيل هذا الكتاب شهادات للعلماء والمجلات والجرائد اثباتاً لفضل المنار وفوائده منها قول لدولتلو مختار باشا الغازي وهذا نصه « ان المنار جريدة عارية عن الاعراض الشخصية وبريئة من الموضوعات الفاسدة وان العالم الاسلامي يفتخر بوجودها » فنحن ندعو لرصيفتنا المفيدة بكل توفيق ونهنئها بما نالته من الاقبال والنجاح

﴿ الدنيا في باريز . وقاموس الجغرافية القديمة ﴾

لمؤلفها جناب عزتلو احمد بك زكي

لما زار حضرة الكاتب العامل عزتلو احمد زكي بك السكرتير الثاني لمجلس النظار معرض باريز منذ عامين وضع كتاباً وصف فيه جزئيات هذا المعرض وكلياته وصفاً دقيقاً مقروناً برسوم عديدة وسماه « الدنيا في بالريز » . وقد تم الآن جمع هذا الكتاب واهدانا حضرة مؤلفه الفاضل نسخة منه فنشكر له هديته وربما نقلنا عنه في فرصة اخرى ما فيه فائدة وفكاهة للقراء . وفي هذا المقام نثني على رصيفنا طبيب العائلة اجمل ثناء لانه تولى نشر هذا الكتاب المفيد

وقد وصلتنا مع « الدنيا في باريز » نسخة اخرى من كتيب عنوانه قاموس الجغرافية القديمة وهو من تاليف جنابه ايضاً وقد طُبع منذ ثلاث سنوات . وقد قال المؤلف في مقدمته « اذا نال هذا الكتاب الصغير من الاقبال ما هو خليق به تشددت عزيمتي لابراز المعجم الكبير الوافي الذي جمعته في هذا الموضوع المفيد » اما موضوع هذا الكتيب

فهو ايراد « الاعلام الجغرافية التي لها ذكر في تواريخ الاقدمين » مثال ذلك قوله في باب الهمزة « الاسكندرية . اكبر ثغور مصر وكان اسمها عند قدماء المصريين راكوتي وعند اليونان راكوتيس وعنهما راقودة في كتب العرب مثل المقريزي وغيره » وقوله في حرف الدال « دجلة . نهر مشهور باسيا ويسمي عند الاشوريين ايديجلات ومن الغريب انه لا يصح وضع ادات التعريف على اسمه العربي ولكنها واجبة حتماً في اسمه عند الافرنج (له تيكر) ويجوز في العربية تانيثه على اللفظ وتذكيره على نية المعني »

ومن ذلك يظهر ان هذا الكتاب مفيد جدًا ولكن لجماعة الكتاب والمترجمين دون سواهم فاذا نشر جناب زكي بك قاموسه الكامل الشامل الذي اشار اليه افادهم افادة يحتاجون اليها واراح نفسه مما يعانيه احيانًا من اصلاح بعض اغلاط من هذا القبيل في منشورات يوزعها على الجرائد اليومية

﴿ كتاب حريق ميت غمر ﴾ زار حضرة رصيفنا عزتلو محمود بك حسيب صاحب « مجلة المجلات العربية » ميت غمر ووضع كتابًا في الحريق الهائل الذي حدث فيها وتبرع بثمن هذا الكتاب اعانة للمنكوبين فنحن نشكره على هذه الهمة والغيرة في جملة الشاكرين ونحث الادباء على ابتياع هذا الكتاب

﴿ التحفة العامية ﴾ هي كتاب حسن الطبع والتجليد لمؤلفه حضرة شكري افندي الخوري . وموضوعه رواية فكاهية مكتوبة باللغة العامية اللبنانية . ولكن من مزية هذا الكتاب انه ارانا للمرة الاولى وجوه رصفائنا الافاضل في البرازيل لانه تضمن شذرات عن جرائد البرازيل ورسوم اصحابها الذين لهم الفضل في نشر اللغة العربية في تلك الاقطار البعيدة فنشكر لصاحب الكتاب هديته

﴿ انتقام النساء ﴾ هي رواية ادبية لمؤلفها جناب رصيفنا عبده افندي بدران صاحب جريدة الصباح الغراء . وموضوع هذه الرواية بحث فلسفي في حالة التمدن الحالي وسيردفها موءلفها برواية اخرى في حالة التمدن بعد الفي سنة . فنثني على اجتهاده وبراعته

﴿ مجلة الاحكام الشرعية ﴾ مجلة الاحكام الشرعية مجلة قضائية شرعية ادبية يحتاج اليها القضاة والمحامون في القطر وهي لمنشئها جناب الفاضل عزتلو حسن بك حماده المحامي في العاصمة وقيمة اشتراكها ٦٠ غرشاً صاغاً في مصر و ٢٠ فرنكاً في الخارج ٠ فنحن نرحب بها وندعو لها بالنجاح

﴿ قانون جمعية الشبان السوريين ﴾ الف بعض الشبان السوريين في ريو دي جنيرو جمعية دعوها " جمعية الشبان السوريين " وغرضها " توحيد كلمة مشتركيها بما يأول لاعلاء شانهم ادبياً ومادياً " فنحن نرحب بهذه الجمعية ونثني على مؤلفيها واعضائها الافاضل ونتمنى ان يزول من اميركا دور النفور والانشقاق بين ابناء الوطن الواحد

﴿ جراب الكردي ﴾ جراب الكردي جريدة هزلية اسبوعية صدرت في نيو يورك لصاحبها جناب انطون افندي انسطاسي زربق وقيمة اشتراكها ريالان ونصف فندعو لها بالنجاح

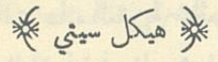
﴿ التيمس المصري ﴾ هي جريدة اسبوعية سياسية تصدر في العاصمة باللغة الانكليزية والعربية لمديرها ومحرر القسم العربي فيها حضرة سالم افندي سيدهم تادرس ٠ فنرجو لها الثبات

﴿ كتاب للحساب ﴾ اهدى الينا حضرة عوض افندي خليل ناظر مدرسة الاجتهاد الوطنية ببولاق نسخة من الجزء الاول من كتابه في الحساب وهو يحتوي على " مقرر السنة الاولى الابتدائية " فنشكر له هديته

﴿ الدروس الابتدائية ﴾ وضع حضرة سيد افندي محمد مدير المدرسة التحضيرية في العاصمة كتيباً عنوانه " الدروس الابتدائية في المبادىء الجغرافية " وهو يشتمل على " مقرر السنة الاولى الابتدائية " فنرجو ان ينتفع الطلبة بهذا الكتاب

آثار الشرق القديمة

مدرسة موسى عليه السلام



هيكل سيني

وصف التعليم في المدارس المصرية القديمة وعلاقتها بالهياكل وظهور الوحدانية بعد تعدد الآلهة

مما اشتهرت به مصر في الزمن القديم مدارسها التي كانت المدارس المنظمة الاولى التي نشرت في العالم نور المدنية والعلم . ولقد ورد ذكر هذه المدارس في رواية وردة التي وضعها الدكتور جورج ايبرس المستشرق الالماني الشهير ووعدنا القراء بتلخيصها في بعض الاجزاء السابقة . فانجازًا للوعد نذكر ما ورد في هذه القصة المفيدة عن مدرسة بيت سيتي التي يقول المؤلف ان موسى الكليم نبي بني اسرائيل قد ربي وتثقف فيها . وقد استخرج المؤلف هذه الفوائد من الآثار القديمة واوراق البردي

وكانت المدارس في ذلك الزمن مقرونة بالهياكل كما يقرنها المعاصرون اليوم بالكنائس والجوامع . وقد بدأ المؤلف قصته بوصف بيت سيتي (هيكل القرنة) لان اهم حوادث الرواية مبنية على رئيس الكهنة الذي يقيم في هذا الهيكل . وكان هذا الهيكل اعظم هياكل طيبة في زمن هذه القصة اي في القرن الرابع عشر قبل الميلاد . وقد شرع في بنائه رعمسيس الاول واتمه سيتي الاول فسمي باسمه

« وقد خصص الملك مرتبات وافرة من المال لهذا الهيكل والمدرسة الكبرى والمدارس العديدة الصغرى التابعة له وانصرفت العناية الى انشاء هذه المدارس على مثال مدارس هيلو بوليس (١) ومنفيس لمنافستها في ميادين العلوم والمعارف حتى تفوق طيبة التي جُعلت وقتئذ عاصمة مصر العليا (الصعيد) شأوًا ومدائن مصر السفلى (الوجه البحري) التي كانت في ذلك العهد مركز دائرة العلوم ومنبعث انوار العرفان »

وكانت المدارس التابعة لبيت سيتي تمتاز « بوجود مدرسة عالية فيها يتلقى فيها نجباء

(١) عين شمس وهي قرب القاهرة

الطلاب علوم الدين والطب والحقوق والرياضة والفلك والنحو الخ على علماء تضلعوا في هذه الفنون ». وكان عدد التلامذة في كل مدرسة مائة تلميذ « ولا يُقبل فيها غير ابناء الوطن الاحرار بلا فارق بين غني وفقير او عزيز وحقير على شرط ان يدفع اهلهم او اولياء امرهم مبلغاً محدوداً في مقابل ما يتناولونه من الغذاء . وكان التلامذة الداخلية من ابناء الاكابر والاعيان يقيمون في مكان مخصوص حيث يكونون تحت مراقبة الكهنة . وكان التلامذة يعاقبون بالضرب بالعصي حيث كانت هذه العقوبة شائعة في المدارس كما يدل عليه المثل السائر في ذلك العهد « ان آذان التلامذة في ظهورهم فهم لا يسمعون الا اذا ضُربوا »

« وكان يوجد عدا هذه المدارس مدارس الفنون والصنائع التي كان الطلاب يتلقون فيها ما يلزم من العلوم لتخريج مهندسي العمارات والنقاشين والمصورين . ونظام التعليم فيها هو بذاته في الاولى اي ان التلميذ يختار المعلم الذي يامل بالتلقي عنه الوصول الى ذروة التقدم والنجاح . وكان يبلغ عدد الاساتذة كلها ٨٠٠ استاذ تخرجوا باجمعهم من بيت سيتي وينقسمون الى خمس درجات ويرجعون في امورهم الى ثلاثة رؤساء يسمون (الانبياء) وكان اول هؤلاء الانبياء مرتبة وارقاهم درجة في العلوم والفنون رئيس كهنة بيت سيتي وكبير قسوسها »

اما بيت سيتي نفسه فقد كان بناء «وطيد الجدران يصل الانسان اليه من طريق قويم آخذ من ضفة النيل الى باب السور المحيط به . فاذا دخل من هذا الباب وجد نفسه في فناء واسع يحيط به من الجهات الاربع صفان متوازيان من الاعمدة الضخمة . وشاهد امامه حيال الباب الذي دخل منه باباً آخر صرف المهندسون حذقهم في تنسيقه وتنميقه . والى جانبه هرمان ناقصان قد زادا في جمال المنظر وبهجة المنظر . وهذا الباب يوصل الى فناء ثانٍ يشبه الاول في اتساعه وشكله لكنه لا يوجد به سوى صف واحد من الاعمدة في الجهة المقابلة للمدخل الذي اتينا على وصفه »

« وكان يوجد خلف بيت سيتي منازل كبيرة اشبه في شكلها بالمكعب مبنية بالطوب النيء المتخذ من طمي النيل ومطلية من الخارج بطبقة من الجير قد رسمت عليها الصور والنقوش الهيروغليفية . وتلك المنازل كانت معدة لاقامة الكهنة والعلماء المدرسين . وكان نظامها الهندسي من الداخل واحداً لاحتوائها على فناء تحيط به ممشاة طويلة من الخشب توصله الى حجرات الاساتذة وفي وسط الفناء نافورة ينبط منها الماء على الدوام في حوض تحيط به شجيرات الازهار وتنصرف منه المياه في مسارب متعددة حتى لا تبقى فيها آسنة .

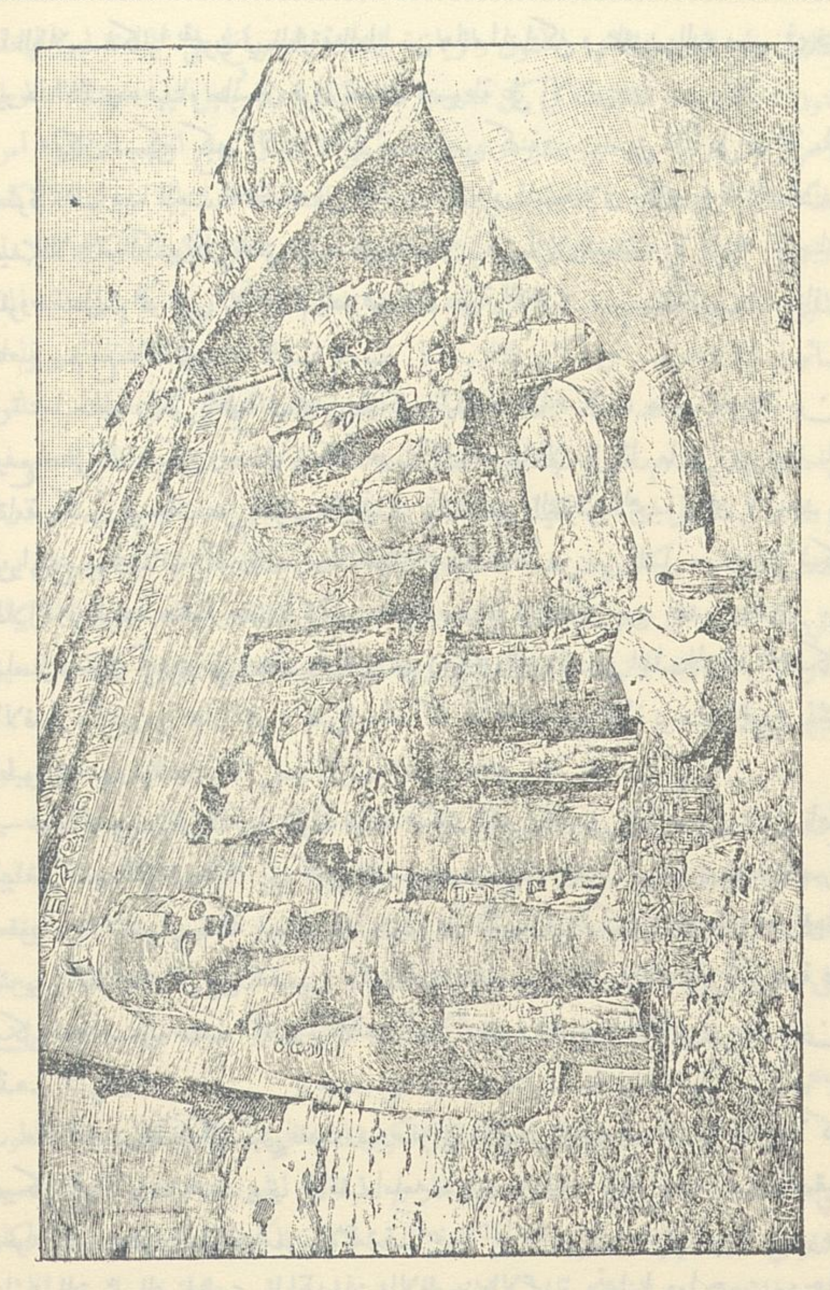
اما الطلاب فكانوا يقيمون في الطبقة العليا من هذه المساكن ويتلقون الدروس في فناء غير هذا الذي وصفناه جالسين فوق حصيرة مبسوطة على الارض »

« وكان مسكن كبير الانبياء الثلاثة ورئيس كهنة بيت سيتي قائماً على مسافة مائة خطوة خلف هذا البيت تكنفه من الجانبين اشجار ذات ظلال وكان يعرفه القصاد من بعيد بالاعلام الكثيرة التي تخفق فوق سطوحه وكان الانبياء لا يقصدونه الا لاداء الواجبات المفروضة عليهم نحو النبي الاكبر ثم ينصرفون الى طيبة الاحياء حيث يسكنون في منازل خاصة بهم مع عائلاتهم »

اما حجرة رئيس الكهنة في هذا الهيكل فاليك وصفها « كانت هذه الحجرة من اوسع حجرات الهيكل واحسنها شكلاً حيث كان نصفها الاسفل الى ما يوازي ارتفاع القامة مكسوًا بمربعات من الخزف والباقي مزيناً بالصور والنقوش العجيبة وكان لا يوجد بها من المتاع سوى مائدة كبيرة وسرير للاضطجاع عليه متكأ من سن الفيل مصنوع على شكل الهلال وفروة فهد ومقعد صغير وكراسي عديدة وخزانة فيها اوان من معدن وقدور من صلصال واخرى تحتوي على قنينات وقوارير من زجاج وغير ذلك من العلب المختلفة الاشكال والاقدار وكثير من محار البحر . يضيء هذا كله ثلاثة مصابيح مملوءة بزيت الخروع تشبه الطيور في صورتها »

واما لباس رئيس الكهنة فاليك صفته « كان لباس الرئيس ثوباً من التيل ناصع البياض كثير الثنيات سابلاً الى كاحل القدم عليه وشاح ذو اهداب مسترسلة يحيط بخاصرته معقود من الامام في نقطة ينسدل منها طرفاه الى ما يوازي الركبتين وتتماسك اجزاء هذا الثوب الكهنوتي بحمائل من المقصب . وكان بعنقه عقد من اللؤلؤ والاحجار الكريمة على شكل قضيبين من سعف النخل متقاطعين من اسفل وبمعصميه دملجان عريضان من الذهب الابريز »

اما المعبد في هيكل سيتي فقد ورد وصفه في الاسطر التالية « وكان المدخل الاكبر للهيكل مفتح الابواب بحيث يري الواقف امامه ما يليه من فناء المذبح المبلط بالمرمر الصقيل وحوله ثلاثة صفوف متوازية من الاعمدة الضخمة الراسخة على قواعدها المتينة فينبهر من تناسق النقوش التي غطيت بها الجدران والافاريز والاعمدة وتيجانها وما جمعت من جمال الهندام وحسن النظام ويرى في وسط ذلك الفناء مذبح القرابين وحوله المباخر المعدة لاحراق كرات الريفي (نوع من البخور) تسطع منها الروائح العطرة فتملأ رحب المكان



﴿ تماثيل بعض الفراعنة منقوشة على جدار في هيكل سيتي ﴾

وتستميل من يستنشقها الى سنة من النوم »

« وكان الاهالي يجهلون ما يقع بداخل الهيا كل من الرسوم الدينية لانها كانت محاطة باسوار عالية فيها ابواب لا تفتح الا للكهان ساعة خروجهم الى الخلوات جماعات متتابعات في وقت شروق الشمس وغروبها للتغني بالاناشيد الدينية تعظيماً وتبجيلاً للالهين هوروس وطوم (١) »

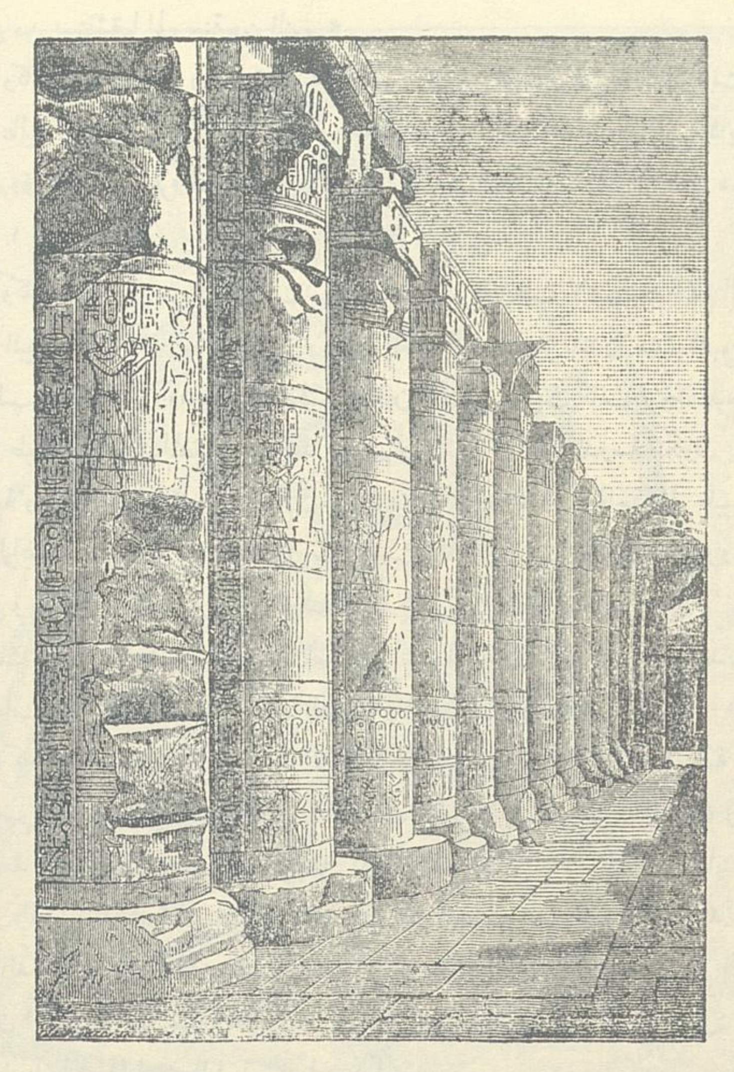
« وكان كثيرون من كهان بيت سيتي يزاولون حرفة الطب لانهم بعد اتمام الدراسة في هذا البيت واحرازهم رتبة الكاهن او درجة العالم كان من يريدون منهم النبوغ في علوم الطب يذهبون الى مدينة هليوبوليس (عين الشمس) حيث كانت توجد اقدم واكبر مدرسة طبية في الديار المصرية » وبعد اتمامهم دروسهم في هذه المدرسة الكبرى يعودون الى طيبة ويقيمون فيها « تابعين لنظام الكهنوت بمعنى انه اذا مست الحاجة الى طبيب فلا يطلبه الراغبون من منزله بل من هيكل سيتي حيث يقابلون رئيس الاطباء ويخبرونه باسم المريض ويصفون له اعراض مرضه فيرشدهم الى الطبيب المنقطع لعلاجه »

ذلك ان كل واحد من الاطباء المصريين القدماء كان ينقطع الى فن واحد من فنون الطب كالجراحة مثلاً او امراض العيون او غير ذلك ليبرع فيه براعة تامة . « وكان الاطباء كالكهنة يعيشون من ايرادات الاملاك الموقوفة للهياكل والضرائب المفروضة برسمهم على الاهالي والنذور التي يقدمونها الى الآلهة ولذا كانوا لا يقبلون من احد جزاء (اي اجرة) مقابل علاجهم لمرضه لان المريض كان اذا شفي من الاسقام التي اصابته بعث بالنذور والهدايا الكثيرة الى الهيكل الذي ينتمي اليه الطبيب الذي نجح في معالجته . وكان من العقائد الراسخة في اذهان العامة وقتئذ ان الشفاء من المرض يتوقف على النذور والقرابين اكثر منه على مهارة الطبيب . ومن الحقائق المقررة في التاريخ ان قدماء المصريين بلغوا في المعارف الطبية شأواً بعيداً »

اما التلامذة في بيت سيتي فانهم بعد نيلهم « مرتبة عالم فقيه او كاتب نبيه لهم ان يتفرغوا للكسب بمعلوماتهم وكانت لهم في المدرسة دار للكتب عظيمة الاتساع بها الوف من

---

(١) يشبه قدماء المصريين حياة الانسان بالشمس في مسيرها فشروقها رمز الطفولية وتسمى فيه (هوروس) وبلوغها الاوج رمز الفتوة والشباب وتسمى عنده (را) وافولها رمز الشيخوخة والهرم وتسمى فيه طوم) (حاشية للمعرب)



﴿ احد جدران الهيكل الداخلية ﴾

المؤلفات النفيسة المكتوبة بخط اليد يرتبط بها معمل لصناعة ورق البردي (الذي كان يكتب عليه المصريون يومئذ) وكان البعض منهم تُناط به ادارة المدارس الملحقة بتلك المدرسة العليا »

وكل هذه القصة التاريخية الجميلة مبنية علي المسالة الدينية . فان رئيس كهنة بيت سيتي الذي كان في قبضته السلطان الديني الاعلى كان شديد الحفظ للتقاليد الدينيـة حتى

انه اجترأ على طرد ابنة رعمسيس من هيكل سيتي لانها رامت الدخول اليه وهي نجسة . وما الذي كان سبباً في نجاستها ؟ السبب هو انها بينما كانت قرب طيبة تسوق خيلاً جاءتها من الشام واذ داستْ الخيل ابنة احد دافني الموتى . فذهبت ابنة فرعون الى كوخ هذه الفتاة لتفتقدها وتعزيها . فمنذ ذلك الحين اصبحت نجسة لمخالطتها دافني الموتى . ولما جاءت هيكل سيتي طردها رئيس الكهنة بقوله على لسان المؤلف « اعلمي يا بنت انات ان القصور الباذخة التي شادها والدك ونضد ابنيتها على اجمل هندام انما هي قائمة على اعناق افراد الامة المصرية فاذا فككتِ عقال التقاليد القديمة التي تربط هولاء الافراد فلا مناص من التخاذل والتدابر المفضيين بلا ريب الى تداعي تلك الجدران »

اما الشاعر بنطاءور تلميذ رئيس الكهنة فانه قال له « ان الاله (را) الذي يجوب السموات العلى في زورقه الذهبي يبعث اشعته الشمسية الى اكواخ الفقراء كما يبعثها الى قصور الفراعنة ودور الاغنياء بلا فارق ولا مميز فلماذا تكون بيوت هؤلاء مطهرة واكواخ اولئك مدنسة »

فاجاب رئيس الكهنة « الا تدري ان العلم يشبه النار . اذا وجدت بيد من يحسن تدبيرها والتصرف فيها نفعته واذا وجدت بيد طفل — والشعب يبقى دائماً في دور الطفولية — احدثت حريقاً يلتهم كل ما شُيد في الازمان الغابرة من جميل الآثار وحميد الفعال . وقد كانت جذوة النار التي اوردتُ لك ذكرها على سبيل المجاز موجودة بين جدران من النحاس يمرّ الشعب من جانبها بدون علم بها . اما اليوم فقد رايتُ ثلمة في هذه الجدران . ونحن نستنزل اللعنات على الكهان الذين يزيدون تلك الثلمة اتساعاً »

ولكن هذه الثلمة لم تلبث ان زادت اتساعاً لان العقل البشري كالبخار اذا ضغطته وزدتَ الضغط فجر الآلة وكسرها تكسيراً ولذلك لم يلبث ان قام من قدماء المصريين نشأة جديدة نبذت عبادة الآلهة المتعددة كالشمس والكلاب والسمك والقطط والعجول وعرفت الاله الواحد . وكان الشاعر بنطاءور الذي تقدم ذكره من تلك النشأة الجديدة . وفي ذلك يقول المؤلف قبل ختام القصة في فصل عنوانه « اين يجد المرء ربه » ما ملخصه

وقف بنطاءور بعد خلاصه من الاسر على هضبة ضيقة امام جبل سيناء قبل شروق الفجر فراى « بريق الكواكب الساطع يبهت شيئاً فشيئاً تلاشياً وتفانياً امام ضوء الفجر المنبلج » « وما زال الليل يولي الادبار حتى سطع النهار وارتسمت في العيون قمات تلك الجبال تنسحب فوقها السحب كدخان يتصاعد من بورة النار » « ولم يكن بها من دلائل الحياة

غير نسر كان يحلق بجانحيه العريضين حول بنطاوءر وهو يتامل في عجائب الخليقة واسرار الكائنات من تلك القمة العالية » ثم « هب نسيم لطيف انقشع بسببه الضباب الذي كان كحجاب يحجب النظر عن رؤية الوادي وانبعثت اشعة الشمس من وراء الافق فكللت هام جبل سيناء بتاج من الذهب » فصاح حينئذ بنطاؤر : انت الواحد الاحد انت الواحد الاحد

ثم التفت فابصر وراءه شيخاً طويل اللحية جليل المنظر فقال له « لقد عرفتك فانت ميسو (١) وسبب معرفتي لك انني كنتُ طفلاً في (بيت سيتي) اتلقى المبادئ حينما تخرجت انت منه نابغاً في العلوم والمعارف . وقد اطلعني اميني (رئيس الكهنة في بيت سيتي) كما اطلعك على سر الاعتقاد بوجود اله واحد . فقال ميسو وقد نظر بعين التامل والاعجاب الى الافق الذي كان يزداد سطوعاً من جهة الشرق : اما اميني فلا يعرف من الاحدية شيئاً » وعند ذلك برزت الشمس من وراء حجاب الافق « فاول حركة بدرت من بنطاوءر (بطل الرواية) (٢) ان استقبلها بوجهه وبدأ في الصلاة . فلما انتهى منها شاهد ميسو يصلي ايضاً غير انه كان مستقبلاً الغرب ومستدبراً الشرق . فلما اتى على آخر صلاته ساله لمَ استدبرت وجه الشمس ونحن انما قد تعلمنا كلانا في المدرسة وجوب استقباله بمجرد اشراقه . فقال ميسو : اني اعبد الهاً غير ما تعبد . الشمس والكواكب مسخرات لامره . فقال بنطاوءر ارشدني الى طريق هذا الاله القادر . فقال ميسو : ابحث عنه تجده لانك كابدتَ الآلام وقاسيتَ مشاق المتربة . واعلم انه تجلى لي في مكان مثل هذا وفي صبيحة يوم كهذه — قال هذا وذهب في سبيله »

---

(١) ميسو هو موسى باللغة المصرية القديمة . وحوادث هذه القصة حدثت في عهد رعمسيس الثاني الملقب بالكبير (سيزوستريس) وكان موسى معاصراً له فيما يقال وفي عهد خلفه خرج الاسرائيليون من مصر على ما هو مشهور

(٢) كان الشاعر بنطاوءر من شعراء الملك رعمسيس حقيقةً وقد نشرنا كتاباً بشانه في الجزء الاول من السنة الثالثة الصفحة ٥٥

باب تدبير الصحة

ننشر في هذا الباب بعض الفوائد والشذرات الصحية والبيتية التي تهم القراء والقارئات مما يتعلق بحفظ الصحة وتدبير شؤون المنزل

﴿ شراب لذيذ مقوٍّ لضعفاء الاجسام ﴾

ضع في اناء ٣٠٠ غرام من مح البيض (صفاره) و٦٠ غراماً من الماء ثم امزجها معاً مزجاً شديداً وبعد ذلك اضف اليها ٣٠٠ غرام من الغليسرين و١٠ غرامات من ماء لوريه سريز و١٨٠ غراماً من السكر و١٢ غراماً من كلورير الصوديوم وامزج هذه المواد كلها مزجاً جيداً بغير نار فيكون لك منها شراب لذيذ مقوٍّ للناقهين وللمصابين بفقر الدم والضعف العصبي والسل وتكون كل ملعقة منه بقدر ملاعق الطعام الاعتيادية مشتملة على ٥٥ في المائة من الليسيتين الذي لا تخفى فائدته في مداواة الامراض التي تقدم ذكرها

﴿ القهوة وطعمها ﴾

اذا صنعت ربة البيت القهوة من ماء غير مقطر وصنعتها من ماء مقطر كانت القهوة المصنوعة من ماء مقطر الذّ طعماً واذكى نكهة لان الكربونات الترابية التي تكون في الماء قبل التقطير تضعف نكهة القهوة . وكذلك الحال في البيرة (الجعة) ولذلك يقطرون الماء الذي يستعملونه لها

﴿ طريقة بسيطة لمداواة الصداع ﴾

كثيراً ما يتسلط الصداع على الانسان ولا يكون له من سبب غير رطوبة القدمين . فالطريقه لازالة الصداع في هذه الحالة وضع عدة ملاعق من مسحوق الخردل في الحذاء او في الجرابات « الكلسات » قبل لبسها في القدمين

﴿ حفظ الزبدة ﴾

ضعي الزبدة في اوعية ضيقة الفم لكي لا تكون كثيرة التعرض للهواء . وفي الصيف

ضعي وعاء الزبدة في ماء بئر بارد لكي لا تسيل . ولا تضعي الزبدة بجانب مواد رائحتها غير طيبة لان الزبدة سريعة الامتصاص للروائح التي تعرض لها

﴿ طريقة بسيطة لتسكين غيظ ابنة صغيرة ﴾

اذا اغتاظت فتاة صغيرة ولم تعد تترك البكاء فلاسكاتها طريقة بسيطة وهي ان تلبسها امها اجمل حلة عندها فتنبسط نفسها من تاثير حلتها (فسطانها) وتترك البكاء . وربما كانت هذه الطريقة غير مختصة بالصغيرات فقط ...

﴿ تعطير ورق المراسلات ﴾

لذلك عدة طرق . منها وضع الورق في خزائن السيدات بازاء علبهن الجميلة فيتعطر من رائحتها . ومنها رش ورق "النشاش" بشيء من الطيوب ومتى وُضع على الورق اعاره شيئاً من ريحه الطيب

﴿ البيض وفساد طعمه ﴾

ثبت ان الدجاج التي لا تتغذى الا من اللحم يكون بيضها كبيراً ولكنه ذو طعم رديء . واما حفظ البيض فطريقته غمسه في محلول الكلس "الجير" الا ان الجير قد ينفذ الى داخل البيضة ويفسد طعمها فحذراً من ذلك امزجه بملح الطعام على نسبة ٦ اجزاء منه في مائة جزء من الجير

﴿ طريقة فعالة لشفاء الحرق ﴾

اذا احترقت يدك فضع على موضع الحرق خرقة مبلولة بالمزيج التالي : عشرة غرامات من حامض البيكريك في الف غرام من الماء . فيخف الالم في الحال وبعد ذلك يشفى الجرح دون ان ينتفخ . وقد تنجح في ذلك كلورات البوتاسا ايضاً ولكن حامض البيكريك اشد فعلاً . واذا اصفر موضع الحرق من هذا الحامض فازل اصفراره بكربونات الليتين . وهذا الدواء فعال ولا مثيل لتاثيره كما قال الطبيب الذي جربه

عقد الصلح

الانسانية تكلل البوير في شخص الجنرال دلاري



احسن رسم مثلت به جرائد العالم عقد الصلح بين الانكليز والبوير الرسم الذي طبعنا في هذا الفصل . ففيه الترنسفال ممثلة في شخص الجنرال ديلاري الذي اظهر في آخر الحرب دهاء غريباً . والانسانية ممثلة في شخص عذراء وهي تمدّ يدها لتكلل تلك الامة الصغيرة الباسلة جزاء لها على ما ظهر منها من البسالة في الدفاع عن وطنها وعن حريتها حتى انها تكاد تكون الغالبة في نظر الناس مع انها مغلوبة

اما شروط عقد الصلح فخلاصتها ان الحكومة الانكليزية تدفع للبوير ثلاثة ملايين جنيه لاعادة بناء مزارعهم وتعدهم بانشاء حكومة نيابية لهم يحكمون بها انفسهم بانفسهم تحت سلطة جلالة الملك ادوارد السابع ملكهم . والعفو عن جميع الذين اشتركوا في هذه الحرب من الاورانجيين والترانسفاليين اذا رضوا بشروط الصلح والاذن لهم بالعودة الى بلادهم . واما الهولانديون من رعايا الكاب والناتال الذين شاركوا البوير في الحرب وحملوا السلاح ضد حكومتهم (الحكومة الانكليزية) فانهم يُحاكمون متى سلّموا ولكن لا يُحكم عليهم

بالاعدام بل بالتجريد من حقوقهم المدنية فقط واذا لم يسلموا يحاكمون كخائنين للمملكة ولقد عمَّ الفرح انكلترا والعالم اجمع لهذا الصلح الشريف للفريقين . وبلغ عدد المسلّمين من البوير ١٨ الفاً . وبدأت روابط الوداد بينهم وبين الانكليز كما اشارت الى ذلك التلغرافات العمومية

فنحن نحمد الله تعالى لحقن الدماء في جنوبي افريقيا . ويحق لكل عاقل الثناء على جلالة الملك ادوارد السابع لان عقد الصلح يُنسب اليه وذلك لرغبته في ان لا يُسفك دم في يوم تتويجه الذي أُجل الى فرصة اخرى لما المَّ به من المرض . شفاه الله تعالى

مراسلات بين بنات شرقيات

﴿ لا يقرأها احد غير القارئات ﴾

صورة كليمة وصورة سليمة . الجمال لا ينفع كثيراً ولا يدوم طويلاً . اقمار الارض وقمر السماء في ليلة فوق حديقة . مثال للكمال والجمال غير كامل . تحت جوزة في حصرون . النشاط اللبناني والحكمة في فم طفلة لبنانية . العمدة في الحياة الاستعداد لواجبات الحياة

عزيزتي وتلميذتي كليمة

كتب اليَّ حضرة والدكِ العزيز يستشيرني في امر مختص بكِ وبمستقبلك وبعث اليَّ في ضمن كتابه بصورة الكتابين اللذين دارا بينك وبين صديقتك سليمه في مصر . وقد سالني ان لا اخبركِ شيئاً عن هذين الكتابين لانه اخذهما من خزانتك على غير علم منكِ . اما انا فقد رايتُ من واجباتي كمعلمتك ورئيستك ان اكتب اليك بهذا الشان

ما هذه الافكار السوداء يا كليمه ولماذا هذا الضجر من الحياة . اعلمي ان ضجرك هذا شبيه بجبانة الجندي في ساحة القتال . ذلك ايتها العزيزة ان كل انسان في هذه الحياة كجندي مرسل للقيام بواجباته فيها . فالضعفاء والجبناء يتافغون ويشكون من مصاعب الحياة ومن سآمتها والاقوياء الشجعان يشكرون الله عليها كيفما كانت ويبذلون جهدهم لاتمام الواجبات التي عليهم فيها سواءٌ كانت صغيرة او كبيرة صعبة او سهلة . وكل الناس متساوون في ذلك : الكبير والصغير

ولقد رايت في كتابك وكتاب المدموازل سليمه صورتين متباينتين للبنات . الواحدة

موجودة في كل مكان . وهي صورتها . والثانية غير موجودة على ما اظن الا في نفسك ياعزيزتي . وهي صورتك . ولا اكتمك انني افضل صورتك على صورة سليمه لانها اقرب الى الواجبات وحقيقة الحياة

فالمدموازل رفيقتك مصابة بالداء الذي قلما تسلم منه فتاة في هذا الزمان وهو داء التزويق والتنميق . ولذلك لا ترى في الحياة موجباً للشكوى ما دام فيها انسجة جميلة وخياطات ماهرات وقبعات فاخرة ومنتزهات وشوارع تزينها السيدات بحضورهن الكريم . فانا اشفق على الفتاة التي تكون كهذه الفتاة . اشفق عليها لا لانها رديئة بالطبع معاذ الله فانني اعتقد انه لا يمكن ان يكون بيننا نحن الجنس اللطيف واحدة رديئة بالطبع غير ميالة الا للفخفخة والشنشنة . وانما اشفق عليها لانها تائهة عن الطريق القويمة . نعم ان الجمال نعمة في النساء وهو هو الذي ينشر السناء والبهاء في الارض حوله كما تنشر الشمس ضياءها وحرارتها المنعشة . ولكن الجمال ليس كل شيء في هذه الحياة ياعزيزتي بل هنالك معيشة مملوءة بالمصاعب يجب الاستعداد لها . الجمال كزهرة موضوعة على المائدة يشمها الانسان حيناً بعد حين ويعجب بروائها وشكلها . ولكن هل رايتِ احداً يشم الازهار دائماً . فلتدع رفيقتكِ هذه الاوهام الصبيانية ولتعلم ان جمالها لا يفيدها كثيراً في هذه الدنيا . بل ان الجمال كثيراً ما كان مضراً . وقد قصدت هنا بالجمال الجمال الذي يعنيه الناس في هذا الزمان اي جمال الوجه والقامة والملابس والتزويق والتنميق . ولم اقصد به الجمال الحقيقي الذي يدوم في السيدات ولا يزيده مرور الوقت عليه الا حسناً ورواء واعني به جمال النفس فانني اذا تكلمت عن هذا الجمال لم اجد احداً يفهم كلامي

آه يا عزيزتي . كنتُ بالامس في سهرة جمعت عدة من السيدات . وكنا في قاعة جميلة مطلة على حديقة تتلاعب فيها الاغصان على خرير الماء بين ايدي النسيم البليل والقمر يطلع تماماً من وراء الجبال في خلال الاشجار على وجوه الحسان الواقفات في النوافذ وهن يضحكن له او منه كأنهن ذكرن بيت الشاعر العربي « وجه المليح يطل من شباك » ولعل سبب ضحكهن افتكارهن بان ذلك الشاعر لو وقف متاملاً في ذلك القمر السماوي والاقمار الارضية التي كانت امامه لاحتار على اي منها يطلق بيته وفي ايها يقول شعره . وكنتُ في هذا الاسبوع قد فارقت شقيقة بعد شقيقة فكانت نفسي منجذبة بالاكثر الى اقمار الارض فاخذتُ أتامل فيها في هدوء ذلك الليل على نور شقيقها السماوي . وكانت اشعة هذا الشقيق البعيد تقع على حلاهن الجميلة اللامعة وحلاهن الثمينة فتتكسر عليها تكسراً يبهر النظر . ولكن اجمل

ما كان في ذلك التكسر تكسر تلك الامواج النورية على مباسمهن الوردية . فكان يخيل لي حين رؤية تلك الافواه العنابية الصغيرة تنفتح قليلاً لاستنشاق نسيم الليل البليل او للابتسام لتلك الطبيعة الهادئة الصافية في تلك الساعة ان السماء والارض كلها تنظر في ذلك الحين لتلك البسمات السماوية وان القمر اكمد لونه خجلاً منها وتستتر بسحابة رقيقة ليخفي خجله . على انني لا اعلم اذا كانت السحابة هي التي سترته او هو الذي استتر بها ولكن اذا كانت هي التي سترته فان ذلك منها بمثابة تهكم جارح كانها تقول له بذلك : « استتر ففي ارضنا اقمار اجمل منك » وما ذلك الا لان هذه السحابة المتهكمة رامت الانتقام من نوره لانه كان كلما داعبها في اعالي الجو يعيرها دائماً بقوله انه سماوي وانها ارضية . ذلك لانها ماخوذة من ماء الارض . فلما خطر لي هذا التصور قلت ان الحق في جانب السحابة . والتفتُّ لتاكيد رايي فابصرت واحدة من الحسان تشير بفتور وتكاسل الى نجم ساطع في السماء كانها تشير الى ماسة في شعرها . وواحدة تقول وهي باسمة : لقد حرد القمر منا . واخرى تشير الى الحديقة وتقول : ما اطيب النوم على بساط في وسطها في هذه الساعة . واخرى تفرك عينيها الدعجاوين الفاترتين وتقول انظروا ان كل هذا العالم يضيء لنا . فتمثل لي حينئذ ان اولئك الحسان الواقفات بازاء الطبيعة تلك الوقفة هنَّ ملكات الطبيعة وسيداتها . وان كل ما في الطبيعة من جمال وحسن وجلال لم يُخلق الا لهنَّ ولم يشتقّ الا منهن . وحينئذ ظهر لي انهنَّ مثال الجمال والكمال في هذا العالم

وفي الحقيقة انهن كن كذلك . ولكن وا اسفاه في الظاهر فقط . ذلك ان هولاء الملكات اهملن المملكة الحقيقية التي هي النفس وصرفن اهتمامهن الى المملكة الوهمية التي هي الجسد . فكل زينة للجسد وكل حلة للجسد وكل جوهرة للجسد . واما النفس فلا زينة ولا جوهرة ولا حلة لها . ولذلك كان جمالهن وا اسفاه ناقصاً . ومن سوء الحظ انه ناقص افضل قسميه واحسن جزئيه . فليت السيدات يهتممن بتزيين النفس نصف اهتمامهن بتزيين الجسد

ومثلكِ ياعزيزتي لا يُشرح لها ما هي النفس وما معنى زينتها . فانك تعلمين ذلك بل تشعرين به « في نفسك » ولكن لا باس بان اذكر لك قصة صغيرة في هذا الموضوع لانني احب اطلاعك عليها . فانني في العام الماضي كنتُ في الحدث فرمت السفر الى الارز للاقامة بضعة ايام في ذلك المكان البديع فلما وصلت في سفري الى حصرون استوقفت المكاري ورفيقاتي وجلسنا نستريح هنيهة تحت ظل جوزة مشرفة على الاماكن التي كانت

حولنا . وكانت امامنا اهدن يغطيها ضبابها الاعتيادي وعن شمالنا الحدث على رابية عالية وعن يميننا سور الجبال الشامخة الذي يكتنف الارز على شكل نصف دائرة تقريباً وتحت اقدامنا نهر ابي علي يجري في وادٍ عميق بهدير يحكي هدير بحر عظيم . وبينما نحن نمتع النظر بهذه المشاهد التي يحسدنا عليها سكان سويسرة انفسهم واذا بابنتين صغيرتين وفتى صغير مروا بنا وفي ايديهم كتب صغيرة . وكان الفتى يسير بين الابنتين وقامته اكثر قصراً منهما فذكرت قصة « لنا » المشهورة . ثم احببت ممازحة هذه المخلوقات الطاهرة الجميلة التي لم تعرف بعد شيئاً من متاعب الحياة وشرورها فاستوقفتهم وسالتهم الى اين انتم ذاهبون . فاجاب الفتى وهو اجرأهم بالطبع « الى المدرسة » فنظرت في وجهه وفي وجه رفيقتيه وكان عمر اكبرهم لا يتجاوز عشر سنوات فرأيتُ في جباههم العالية وخدودهم الموردة واعضائهم المفتولة دلائل الانفة والنشاط والصحة اللبنانية . وكان بينهم ابنة شقراء اللون حمراء الخد الى درجة لو طلت بناتنا ونساؤنا وجناتهن بالدم لما جاءت حمرتهن الصناعية مشبهة لحمرتها الطبيعية . فقلت في نفسي تبارك الخالق العظيم وانشدت مع الشاعر : « وفي البداوة حسن غير مجلوب » وخطر لي حينئذ ما قيل من ان الهواء الذي يربي اجساماً كتلك الاجسام لا يبعد ان ينشيء امة كبيرة اذا اهتم بها حكامها ورؤساؤها الاهتمام الواجب وساعدتها الاحوال

ثم انني التفت الى الفتى وسالته : ما في يدك . فاجاب كتاب ديني . قلت هل تتعلم التعليم المسيحي . قال نعم . فسالته وانا اضحك من سؤالي كم شيئاً في الانسان . فبدت حينئذ الدهشة في وجهه والتفت الى رفيقتيه . اما رفيقاتي فاخذن يضحكن من هيئته « المسيخنة » فالتفتُ الى الابنة التي كانت تظهر لي اكثر نباهة وسالتها اتعرفين انتِ كم شيئاً في الانسان . فاجابت نعم : فيه شيئان نفس وجسد . فبلغت مني حينئذ الدهشة مبلغها . فسالتها واين النفس واين الجسد . فاجابت اما الجسد فهذا واشارت الى ذراعها وصدرها واما النفس ففي داخله . فقلت لها ودهشتي زائدة : هل لديكِ علامة تعرفين بها الاشياء التي تخص النفس والاشياء التي تخص الجسد . فاجابت ضاحكة : نعم . فانني اذا عملتُ شيئاً وسررتُ به لذاتي فانه يكون تابعاً لجسدي واذا عملتُ شيئاً يسرُّ سواي وينفعه فانه يكون تابعاً لنفسي

فالتفت حينئذ الى ما حولي لارى اين انا ؟ اعلى جبل سيناء حيث نزلت الحكمة الاولى ام على جبل الزيتون حيث نزلت الحكمة الثانية . ذلك لان كلمة هذه الفتاة البسيطة

مشتقة من اسمى اصول الحكمة والفلسفة . غير انني لم اجد نفسي وا اسفاه الا تحت جوزة في اعالي لبنان . فاخذت الفتاة بين ذراعي واوسعتها تقبيلاً ولكنني كنت متحققة انها حفظت تلك الالفاظ حفظاً كما تحفظها الببغاء من غير ان تعرف حقيقة معناها

وحقيقة معناها ان اعظم فضيلة من فضائل النفس وادل عاطفة عليها هي « الايثار » اي تفضيل الانسان غيره على نفسه من بعض الوجوه والرغبة في خدمته ونفعه . وهذه الفضيلة هي مقياس مدنية الشعوب والافراد على حد سواء . فالشعب المرتقي ارتقاء حقيقياً يكون الايثار عنده في اسمى مظاهره والفرد الكامل التهذيب والمدنية يُعرف من رغبته في خدمة غيره وحبه نفع بني جنسه . فاعظم صفة للانسان على هذه الارض ذكراً وانثى هي ان يخدم غيره ويعمل لنفعه واحط صفة له هو ان يقصر همه واهتمامه على نفسه . تاملي هل لولا انكار الام والاب ذاتهما لايثار ولدهما عليهما تقوم للعائلة قائمة . وهل لولا انكار الامة ذاتها وخضوعها لمبداء السلطة والهيئة الحاكمة التي تمثل هذا المبدأ يقوم للحكومة نظام او تنتظم فيها هيئة ممدنة . فالايثار الايثار هذا هو النظام الكامل الخاص بالانسان سيد المخلوقات

فانظري الآن ياحبيبتي الى هذه الفضيلة العليا وقابلي بينها و بين كتابك وكتاب رفيقتك . انكما كلتاكما لا تطلبان المعيشة بموجب هذين الكتابين الا لذاتكما . فانتِ تقولين في كتابكِ انكِ قد سئمت من الحياة لانك لا تجدين فيها شيئاً يسرك . كانك ما خُلقتِ الا للسرور فقط . وهي تقول ما احلى الحياة مع الانسجة الجميلة والحلى والحلل والقبعات والسهرات والمتنزهات . كأن المراة لم تخلق الا لتبقى العوبة بين ايدي الخياطات او فرجة لابناء السبيل . كلا ياعزيزتي كلا . المراة ليست فرجة ولا لعبة . المراة هي ذلك المخلوق المقدس الذي براه الله من الطف عنصر والقى على ظهره اثقل الاحمال ليكون فضله كاملاً . وهذه الاحمال هي تربية النسل في الفضيلة والشهامة والاقدام وتخفيف متاعب الزوج وتدبير المنزل بنشاط واقتصاد وجعله فردوساً ارضياً . وهذه الواجبات كلها لاتقوم بها المراة لولا انطباعها على فضيلة الايثار التي تقدم ذكرها . فقبل الزواج عليها الاستعداد لهذه الوظيفة السامية التي هي اسمى من وظائف الملوك لان الملوك يخرجون من تحت يدها و بعد الزواج عليها العمل بما تعلمته في زمان الاستعداد . والفتاة التي تهمل هذا الاستعداد وتقول : « اف لا ارى شيئاً يسرني في هذه الحياة » او التي تقول « الغرض من الحياة حسن الملابس وكثرة المسرات » انما هي فتاة جاهلة او مريضة . اذ كيفما التفت الانسان في

هذه الحياة المملوءة بالشرور والاحزان والمصاعب يجد ان المحتاجين والمحتاجات الى المساعدة والاعانة والتعزية والتسلية والارشاد والهداية اكثر من رمل البحر ونجوم السماء . واذا كانت سيدة الكون وحاملة لواء الفضيلة والخير فيه تهجر فضيلة الايثار فممن ننتظر العمل بها في هذا العالم . امن انانية الرجل وخشونته وحبه لذاته ؟

فتعلمي ياعزيزتي ان تكوني نافعة لغيرك : لاهلك اليوم ولقريبك وكل طالبي مساعدتك . وغداً لخطيبك وزوجك واولادك ومنزلك . ثم علمي ذلك رفيقتك وكل رفيقة لك . هذا هو سبيل السعادة والهناء في هذه الدنيا الفانية وراس الواجبات البشرية . وفي كل حديث وكل فكر وكل كتابة لك لا تنسي ان تضعي هذا المبدأ نصب عينيك : ان الانسان الذي لا يفتكر الا بنفسه ولا يبذل جهده لنفع بني جنسه انما هو اقرب الى الحيوانية منه الى الانسانية

فاستحلفك بحياتك ياعزيزتي ان تُصْدقيني : اما صرتِ بعد مطالعتكِ هذه الافكار تجدين للحياة غرضاً ولذة

اما استشارة حضرة ابيك اياي بشان جناب الشاب (كريم) فسا كلمك عنها في فرصة اخرى لاطلعك على ما ذكرته له عنه وعن رأْيي بشان الزواج . ودمت لمعلمتك ورئيستك

« أَلما »

المرحوم تقلا باشا

قال المسيو دي هريديا الشاعر الفرنسوي المشهور في ختام خطبته في الاكاذمية الفرنسوية في هذا الشهر جواباً عن خطبة المركيز دي فوكوه الارشيولوجي المستشرق الذي خلف الدوق دي بروني في كرسي الاكاذمية ما خلاصته : ان الانسان لا يرهب الموت اذا كان قد ملأَ ايامه في حياته بالاعمال النافعة وقام بكل ما كان يجب عليه . وقد اخطر هذا القول في بالنا صدور كتاب عدد صفحاته ٤٦٣ صفحة مطبوع على ورق مشرق صقيل طبعاً في غاية النظافة والاتقان وعنوانه « بشاره باشا تقلا » وفيه اقوال الجرائد التي ابنت هذا الفقيد الكريم ومراثي الشعراء ومختارات من كتابات الفقيد في جريدته الاهرام منذ خط اول حرف فيها الى ان اوقف الموت بنانه . وقد اهدى هذا الكتاب حضرة نجل الفقيد الى قراء الاهرام كتذكار لوالد تفتخر بمثله الابناء

ولقد تصفحنا هذا التذكار الثمين باسف لم تبرد حرقته بعدُ فراينا فيه صدق مقال المسيو دي هريديا . ذلك ان هذا الكتاب جامع لامرين . الاول اجماع الناس كبارهم وصغارهم على الحزن لوفاة الفقيد العزيز . والثاني مختارات من كتاباته تدل كل الدلالة على ما كان من اعماله في حياته . وان قصارى الانسان في هذه الحياة ان يعيش ويبني ما بناه المرحوم تقلا باشا

اما مختارات كتابات الفقيد فجدير بكل قارىء ان يطالعها بامعان . وهي تبدأ من عام ١٨٧٩ « واول مقالة نشرت للفقيد بتوقيعه مقالة عنوانها « وذكّر ان نفعت الذكرى » وقد جاء فيها « وليس يخفي ان نقطة الدائرة في كل امر هي ان يعرف الانسان ما يريد . وما يستطيع . وما يجب عليه . فاذا فقد ذلك اندفع اندفاعًا بين يدي الاتفاق » نقول وهذه العبارة وحدها هي خطة براسها تدل على حكمة صاحبها وتدبيره وتفسّر سبب ارتقائه

وفي هذه المختارات شيء كثير عن حوادث السودان ومصر والدولة العثمانية قبل حوادث عرابي والاحتلال وبعدها . منها حديث للفقيد مع جول فري رئيس الوزارة الفرنسوية في عام ١٨٨٤ . وقد سال جول فري في هذا الحديث اين هم رجال مصر القادرون على حكم مصر اذا خرج الانكليز منها . فاجابه الفقيد « ليس من عقلاء المصريين من يقبل وظيفة مهمة في الحكومة اذا بقي الانكليز متداخلين في ادارات الاشغال »

ومنها حديث مع جناب اللورد سالسبوري في ١٩ يونيو من ذلك العام . وكان جناب اللورد يرئس يومئذ حزب المحافظين المعارضين لسياسة المستر غلادستون رئيس الوزراء. فساله اللورد في بدء الحديث اللنزهة حضرت الى انكلترا قال « لا بل للمحاماة عن حقوق وطني مصر » ثم يلي ذلك حديث طويل استمر ساعة ونصف ساعة . ولولا ضيق المقام لوصول الكتاب الى يدنا متاخرًا لخصنا منه شيئًا كثيرا لا يخلو ذكره من فائدة . فنحن نكرر طلب الرحمة للفقيد العزيز والعزاء لاسرته الكريمة ونردد فيه قول جناب رئيس تحرير الاهرام

وقضت مذ قضى بشارة آما لٌ كبارُ حثت اليها الرغائب
كان في ثغر ذا الزمان ابتساماً فبدا الدهر عابس الوجه غاضب
فسلام على بشارة منا كلما خط في الصحيفة كاتب
ورعى الله نجله وحماه وحمىً فيه فضله والمراتب